الياس سعيد نجار

عائلة أصفر ونجار



بيروت ٢٠١٠

[illegible]

عائلة أصفر ونجار

ܫܪܒܬܐ ܕܒܝܬ ܐܨܦܪ ܘܢܓܐܪ

عائلة أصفر ونجار

Asfar - Najjar Family

الياس سعيد نجار

بيروت ٢٠١٠

ܦܛܪܝܪܟܘܬܐ ܕܐܢܛܝܘܟܝܐ ܘܕܡܕܢܚܐ ܕܣܘܪܝܝܐ ܐܪܬܘܕܘܟܣܘ
SYRIAN ORTHODOX PATRIARCHATE
OF ANTIOCH & ALL THE EAST
BAB TOUMA, P.O.BOX 22260
DAMASCUS - SYRIA

بطريركية أنطاكية وسائر المشرق للسريان الأرثوذكس
باب توما - ص.ب ٢٢٢٦٠
دمشق - سورية

العدد: ٢٠٠٩/٣٩٦
التاريخ: ٢٠٠٩/٨/١٢

بنعمة الله

إغناطيوس زكا الأول عيواص

بطريرك أنطاكية وسائر المشرق

الرئيس الأعلى للكنيسة السريانية الأرثوذكسية في العالم

إغناطيوس

حضرة عزيزنا الروحي الفاضل السيد الياس بك نجار الأكرم

بيروت

بعد إهداء البركة الرسولية والأدعية الخيرية نقول:

إن محاولتكم الكتابة عن عائلة أصفر ونجار الكريمة هي مبادرة طيبة وفي محلّها فهذه عائلة مباركة في تاريخ الكنيسة السريانية الأرثوذكسية المعاصر لما لها من دور فعال وأيادٍ بيض على خدمة الكنيسة والوطن والإنسانية عامةً. وهي بالتالي مدعاة فخر كل من عرفها وعمل واستفاد من مشاريع وأعمال هذه العائلة المباركة.

فيما نثني على عملكم ومجهودكم ندعو لكم بالتوفيق المقرون بالصحة والعافية والعمر الطويل. ونستمطر التعازي السماوية على أرواح إخوتكم وأهلكم الراقدين والذين زيّنوا مجتمعنا في الوطن والمهجر بأعمالهم ومآثرهم.

هذا ما اقتضى والنعمة معكم ܘܐܡܝܢ ܒܫܝܢܐ ܘܚܝܐ



ܥܕܬܐ ܕܝܠܕܬ ܐܠܗܐ ܡܪܝܡ ـ ܐܡܝܕ ـ ܒܝܬ ܢܗܪܝܢ

كنيسة السيدة العذراء مريم (مريمانا) ـــ آمد ـــ ديار بكر

مقدّمة

عائلة أصفر ونجار إخوان

أحمد الله حمدًا جزيلاً يبلغ رضاه.

هذه صفحات مشرقة من سجلّ فريد لعائلة رائدة من عائلاتنا السريانيّة المباركة، هي عائلة "**أصفر ونجار**" المميّزة، الآمديّة الأصول والجذور والانتماء. وقد لمعت واشتهر اسمها مع بداية القرن العشرين، وهي مكوّنة من بيتين أصيلين لهذه الأرومة، آل أصفر وآل نجار، تجمعهما والدة هي المرحومة مريم رضوانلي والدة السيّد مسعود هرموش أصفر. وبعد ترمّلها أصبحت والدة للمرحومين مجيد ولطفي وشكري ويعقوب والياس وشميرام (سميرة) سعيد نجار. فتكوّنت عائلة واحدة موحّدة معروفة باسم "**آل أصفر ونجار**".

وصار هذا الاسم علمًا في المنطقة والعالم السريانيّ عامّة، ودخلت في التاريخ من أوسع أبوابه لعُصاميّة أعضائها وحكمتهم

وحسن سيرتهم ومسيرتهم. وقد تميّزوا بالأخلاق العالية والمثاليّة والعلوم والمعارف، حيث تقدّموا على كثيرين من أترابهم في جيلهم.

لقد أنعم الله على هذه العائلة، بالإضافة إلى الفضائل وهاتيك الخصال، بالغنى والجاه والأملاك. ويعود الفضل في ذلك إلى والدتهم العاقلة ووالدهم المرحوم سعيد نجار، حيث ربّيا الأولاد مع أخيهم الأكبر مسعود أصفر، الذي تميّز هو الآخر بالحكمة وحسن الإدارة والتعامل المثاليّ مع إخوته والأهل والأصحاب وكلّ من تربطهم به علاقة. وهكذا كان يشار إليهم بالبنان من القاصي والداني، قادرين محبّتهم لبعض والاحترام المتبادل بينهم جميعًا.

في **دياربكر** مسقط رأسهم، سجّلوا حضورًا فريدًا بتمسّكهم بإيمان كنيستهم المقدّسة وغيرتهم الوقّادة على سريانيّتهم، تضامنًا مع الأجواء الشائعة في تلك الأيام في هذه المدينة الخالدة، بتمسّك السريان بإيمانهم وتقاليدهم وتراث وحضارة آبائهم وأجدادهم، ولاسيّما ما يتعلّق بانتمائهم القوميّ والوطنيّ بما كان ينادي به معلّموهم ومرشدوهم من إكليروس وعلمانيّين، ولاسيّما رائد النهضة السريانيّة المغفور له **الملفونو نعوم فائق** مواطنهم ومربّي الأجيال، ليس في ديار بكر وحدها وحسب، بل في المنطقة عامّة، وصولاً إلى العالم الجديد، حيث وصل عام ١٩١٢، وعلّم وأرشد وخدم ونشر درر أمّته السريانيّة الخالدة، بمجلاّته وكتبه ومؤلّفاته

والمنشورات التي جاد بها بسخاء منقطع النظير، حيثما تمكّن أن يرسلها ويوصلها ويسلّمها أمانةً للأجيال.

الظروف القاسية التي ألّمت بالمسيحيّين في تلك البقعة الخالدة، ولاسيّما أحداث عام ١٨٩٥ التي ندعوها بـــ "**سيف ديار بكر**"، والتي اتّخذت العائلة فيما بعد عبرة منها وقناعة أن إمكانيّة متابعة مسيرهم في ديار بكر صارت موضع قلق واضطراب للعائلة، كما لكثيرين من المسيحيّين. وبعد عشرين عامًا أي عام ١٩١٥، كانت الحرب العالميّة الأولى على أشدّها ظلمًا وتهجيرًا وتدميرًا وتعدّيًا على الأملاك والمقتنيات وعلى الحياة.

ففكّرت العائلة أن تهاجر عن الوطن الأم بطريقة حازمة تقلّل فيها من الخسارات الماديّة والمعنويّة جهد المستطاع.

أمام هذا الواقع المرّ والمعاناة اليوميّة، ونتيجة ما كرّم الله به أعضاء هذه الأسرة الأصيلة والنبيلة، بدأوا ينظّمون أمورهم الماليّة بفضل علاقات بنوها مع وجهاء المدينة وبعض المسؤولين والأصحاب، فانتقلوا جنوبًا إلى ربوع الجزيرة السوريّة، واستقرّوا في مدينة **القامشلي** المبنيّة حديثًا.

وبما تمكّنوا من توفيره من المال، ابتاعوا الأراضي وعمّروا القرى وأنشأوا المؤسّسات والمصانع والوسائل الصالحة والناجحة للعيش بكرامة وخدمة العائلة والمواطنين من كلّ الطوائف والأطياف والأديان والانتماءات. وبهذا سجّلوا لهم اسمًا خالدًا

مُعتبرًا ومحترمًا لدى الجميع. وصاروا محطّ أنظار الكثيرين من المسؤولين في الدولة والمواطنين والعشائر والقبائل أفرادًا وجماعات. وتمتّعوا بالكرامة التي يستحقّون، شأنهم في ديار بكر.

هذه المعطيات والصفات الحسنة جعلت **عائلة أصفر ونجار** في طليعة العائلات والمؤسّسات وأرباب العمل في الجزيرة السوريّة أوّلاً، وامتدّت إلى حلب ودمشق وكلّ قرى وبلدات ومدن الدولة السوريّة. ولذكائهم الكبير، أوجدوا لهم مؤسّسات صناعيّة تجاريّة نادرة، لم تكتحل عين المنطقة بمشاهدتها. وكانوا مبدعين في الزراعة على أنواعها والصناعة بأحدث آلاتها ومعدّاتها، ومشاريع الري والزراعة واستصلاح الأراضي، والتجارة الشريفة، واختيار العناصر الجيّدة والسهر لتنفيذ المشاريع ومشاركتها العائلة، ليس كعمّال وموظّفين ومستخدمين لدى مؤسّسات أصفر ونجار، بل كانوا يشاركون أصحاب هذه المؤسّسات بسياسة لافتة وحكيمة جدًّا، ممّا جعل الأنظار تتّجه إلى هذه المؤسّسات، قادرة إدارتها وسياستها وحكمتها في تدبير الأمور وجعل البذل والعطاء، فكان الإنتاج غزيرًا، وكان الرزق وفيرًا والاحترام كبيرًا.

وكلّما توفّر مال وجنوا أرباحًا، شاركوا فيها المواطنين بحصصٍ وعطاءات بدون حدود، توسيعًا لأعمال المؤسّسات، وانتقاء واختيارًا لكلّ جديد، وما ينفع لتقدّم وازدهار المؤسّسة، وأعانهم الله ووفّقهم لقاء حسناتهم وخدماتهم غير المحدودة.

من مطالعة هذا الكتاب والوقوف على المذكّرات التي دوّنها **صغير إخوته الياس بك نجار** الذي لم يزل حيًّا، أطال الله عمره وبقاءه لسنين طويلة، بعد غياب إخوته وشقيقته، وانضمامهم إلى آبائهم وأجدادهم في السماء، يلاحظ القارئ الجهود التي بذلوها والأفكار التي جسّدوها والمشاريع التي قدّموها والأتعاب الجمّة التي تحمّلوها والمشقّات التي واجهوها، والسعادة التي ملأت قلوبهم ودغدغت عواطفهم في النجاحات التي حقّقوها، والظروف التي تقلّبت بهم وصبروا عليها بإيمان صادق ورجاء وطيد ومحبّة للرسالة التي حملوها، وما آلت إليه أمبراطوريّتهم العظيمة، يفكّر، ترى هل بإمكان عائلة أن تفعل كلّ هذه الأمور وتتحمّل كلّ هذه المشقّات وتصبر. أجل إنّ لله حكمة في توفيق هذه العائلة.

وإذا وصل القارئ إلى السطور الأخيرة من هذه المذكّرات يرى إنّ الحسّاد لم يهنأ لهم بال حتّى يوقعوا بهذه العائلة، لتفقد كثيرًا من ممتلكاتها وأموالها، لكنهم لم يفقدوا كرامتهم.

ولّما أُغلقت أمامهم الأبواب في وطنهم، فتح لهم الله آفاقًا ليعوّض عليهم في بلاد أخرى ما فقدوه من مال. فكان التعويض لهم بالأولاد الصالحين والبيوت المباركة التي كوّنوها، وبإسداء الخير والإعانات إلى كثيرين، ولاسيّما المؤسّسات الوطنيّة والكنسيّة والإنسانيّة بكلّ معنى الكلمة. ويكفي القارئ أن يطلع على سيرة هؤلاء العصاميّين ليكتشف السرّ في نجاح العائلة.

أيّها العصامي الياس بك نجار (**أبو سهيل وسمير وفائز**)، ابن العائلة العصاميّة، وشقيق العصاميّين إخوتك، في جمعك ونشرك هذه المذكّرات خلّدت **عائلة أصفر ونجار**، وذكّرت الأجيال الحاضرة والقادمة إنّ العاملين المخلصين المتعاونين والمضحّين والبعيدين عن الأنانيّة، الله قادر أن يوفّقهم. فإليك المحبّة والإكرام ولعائلتك الكريمة الكبيرة التي تشكّل محطّة مهمّة في تاريخ السريان مغمورة بالمحبّة والتقدير.

أسأل الله أن يمدّ بحياتك، ويمتّعك بالصحة مقرونة بالعمر الطويل والتوفيق مع الأحياء من هذه العائلة المباركة السريانيّة الأصيلة، ويفيض نعمه السماويّة على أرواح الراقدين من ذويك.

حفظك الله.

والنعمة معكم جميعًا. آمين.

البوشريّة في ٢٥ آذار ٢٠١٠.

عيد بشارة السيّدة العذراء.

المطران جورج صليبا

مطران جبل لبنان

تمهيد

تجاوبًا مع تمنيات بعض الأصدقاء والمحبّين لعائلة أصفر ونجار إخوان،

وتخليدًا لأعمالهم الكبيرة وإنجازاتهم المميّزة في مجال الإنماء والإعمار والنفعع العام وأعمالهم الخيريّة،

وإحياءً لذكرى المرحومين من أعضائها: **أخي مسعود أصفر، وأشقائي: عبد المجيد، لطفي، شكري، يعقوب والشقيقة سميرة أولاد سعيد نجّار،**

قرّرتُ تدوين ما تبقّى في ذاكرتي، وأنا المقارب التسعين والوحيد الباقي على قيد الحياة من الجيل الأوّل لهذه المؤسّسة، من وقائع وأحداث وتطوّرات، رافقت مسيراتها، بما في ذلك نهجها السياسيّ ووضعها الماليّ.

فقد توسّلت في العودة إلى الجذور وتأسيس النواة في ديار بكر (تركيا) من ثمّ النزوح إلى القامشلي (سوريا) عام ١٩٣٠ مرورًا بعصرها الذهبيّ ١٩٤٣ – ١٩٦٣ الذي دام

عشرين عامًا، مرورًا بمرحلة التجاذب بين مدّ وجزر من ١٩٥٨ لغاية ١٩٦٧ ثمّ الضربة القاضية عام ١٩٦٩.

سوف يضطلع القارئ الكريم على تفاصيل كلّ هذه المراحل في سياق مطالعته لهذا الكتاب.

إنّني إذ أسرد هذه المسيرة الخيّرة للمجتمع والنهاية المأسويّة لهذه المؤسّسة، أرجو أن تكون قدوة حسنة ومنارة للجيل الجديد من الشباب، يهتدون إليها ويأخذون العِبَر منها.

وبهذه المناسبة، أعتذر من القارئ الكريم عن الأخطاء اللغويّة والنحويّة أو الإنشائيّة والتواريخ، لأنّني لم أمارس الكتابة سابقًا.

وإنّني أقدّم الشكر الجزيل إلى نيافة **المطران جورج صليبا** مطران جبل لبنان وطرابلس الذي شجّعني على المضي في هذا المشروع. ولنيافته لمسات محبّة في وضع وترتيب هذا الكتاب وإخراجه بهذه الحلّة الجميلة سائلاً الله أن يوفّقه وكلّ من له مساهمة معي في هذا الكتاب.

بيروت ٢٠١٠/٣/٢٥

الياس سعيد نجّار

الفصل الأول

في التاريخ والجغرافيا

١. الأصول والجذور

ديار بكر: هي مدينة عريقة وحاضرة سريانية في تاريخ السريان والمنطقة. اسمها في التاريخ ܐܡܝܕ آمد أي مدينة النجاة، وبهذا الاسم يعرفها مؤرّخو السريان، وهكذا يتداولونها ويدعونها. ويسمّيها السريان أيضًا ܕܝܪܐ ܕܒܟܪ ديار بكر أو ديرالبكر. ولكن الاسم الأخير (ديار بكر) متداول أكثر ومعروف.

بعد الفتوحات العربيّة، تبدّل اسم آمد إلى ديار بكر، وهي جوهرة بلاد الجزيرة، ودرّة ما بين النهرين، تربض على نهر دجلة الذي يخترقها. وبخريره تسمع نغمات الحضارة من أعماق التاريخ. واليوم تقع في جنوب شرق تركيا، وهي من أهمّ وكبريات مدن آسيا الصغرى وولاياتها. يحدّها من الشرق ولايات سعرت وموش وبدليس، ومن الغرب أورفة (الرها) وأديمان وملاطية، ومن الشمال ولاية العزيز (خربوت) وبنكول، ومن الجنوب ماردين وطور عبدين.

لعبت آمد دورًا رائدًا في المنطقة بسبب موقعها الجغرافيّ وتربتها الخصبة، ولا سيما غناها بالمياه التي يغذّيها النهران العدنيان دجلة والفرات، وكونها طريق القوافل والتجارة البريّة والنهريّة.

واشتهرت بأكلاكها (ܟܠܟܐ) وهي العبّارات المائيّة التي كانت تنقل الركاب منها وإليها، حتى تصل إلى مدينة الموصل فشط العرب.

كما تميّزت ديار بكر بمناخها الجاف نهارًا وبعليل هوائها ليلاً. اشتهرت بخصوبة تربتها في أنواع الزراعة، من قمح وخضار خاصة الدراق وأنواع الفاكهة والخضروات الوفيرة.

ويعتبر سور ديار بكر من الأسوار العظيمة والضخمة، وهو اليوم من أهمّ وأجمل الأسوار التاريخيّة الباقية في العالم. وتطلّ نوافذه وقبابه ومرتفعاته على دجلة والسهول الفسيحة والجبال المحيطة كديدبان يحرس ترابها وسكانها.

وديار بكر **قاعدة سريانية تاريخية أصيلة** على الرغم من انتماء أديان وطوائف وقوميّات أخرى إليها، يعيشون مع السريان فيها، كالأرمن والمسلمين والأكراد وسواهم. ومحيطها قرى مسيحيّة غالبًا: الكعبية، قره باش، قطربل، الشاروخية، تل غازي، ملحسو، جرموك أو جرمك، بقردون ورامان وسواها.

وقد عاشت هذه الشعوب عبر التاريخ معًا في تاريخ مشترك، فيه الحلو والمر، والناس مرتاحون وراضون مقتنعون بواقعهم على الرغم من تعدّيات ومرائر كثيرة عانى فيها المسيحيّون من جيرانهم وشركائهم في الأرض والوطن، وهم يحمدون الله ويطلبون منه تجنيبهم شر الحسّاد والطامعين والأشرار.

اشتهر سكان ديار بكر، خاصة السريان بالشهامة والشجاعة والصدق والأمانة والشرف والالتزام، خلافًا لسكان بعض المدن المجاورة، حيث شعارهم المشهور "الف قلبة ولا غلبة".

عام ١٨٩٥ برز في التاريخ ما نسميه **ܣܝܦܐ ܘܐܡܒ سيف ديار بكر**، حيث ثار هؤلاء الجيران على المسيحيّين بني وطنهم، ففتكوا بهم، وصار هذا التاريخ صفحة سوداء في تاريخ الأمبراطوريّة العثمانيّة وألمانيا وبعض دول أوروبا والمسلمين الذين لم يرعوا حرمة الجيرة ولا علاقة المصير، فكانت بداية تفريغ هذه المدينة الخالدة مع قراها ومحيطها الواسع. **حتى جاءت الحرب العالميّة الأولى ومذابح المنطقة عام ١٩١٥ لتقضي على البقية الباقية من أصحاب الأرض الأصليّين**، فهاموا على وجوههم وغادروا أرض آبائهم وأجدادهم وتشرّدوا، لتراهم تحت كلّ كوكب قاصدين أرض الله الواسعة طلبًا للنجاة، بلجوئهم **إلى دير الزعفران في ماردين وبعض أصحاب لهم من المسلمين الذين لم يسايروا الظالمين. وكانوا سببًا لحماية كثيرين لجأوا إليهم نسمّيهم اليوم "بقايا السيوف"، وبدأت الهجرة.**

٢. الهجرة

على أثر الإضطهادات المتتابعة والمظالم القاسية والمعاملات السيّئة من الحكّام وكثيرين من المواطنين، ولا سيما أصحاب النفوذ من الحكام والآغاوات والحاقدين. إضطرّ المسيحيّون أن يتنازلوا عن

كلّ ما يقتنون من حطام الدنيا، فتوجّهوا إلى المناطق القريبة الآمنة بحسب ظنّهم أولاً، ثمّ امتدت نظرتهم ليروا بلاداً أخرى انطلقوا إليها، فاستقرّ بعضهم بما يسمى اليوم سوريا والعراق ولبنان وفلسطين والأردن، وصولاً إلى بلاد اليونان وبعض أجزاء من أوروبا، ويمّموا أخيرًا إلى العالم الجديد (**أميركا اليوم**)، نائين عن المشاكل والمظالم ومسبّبيها، وفي قلوبهم حسرات على مجد تليد وتاريخ مجيد وكنائس وأديرة ومواطن للتعليم وأهل وأصدقاء وشهداء روت دماؤهم تربة هذا الوطن الخالد ليبدأوا عهدًا جديدًا.

وفي أميركا أسّس هؤلاء المهاجرون الكنائس والجمعيّات واللجان الخيريّة والتربويّة، كانت قمتها جمعيّة ترقّي المدارس السريانيّة "ܠ ܡ ܗ" عام ١٨٩٩. (The Assyrian School & Orphanage Association – USA)

وأصدروا نشرات وجّهوها إلى إخوتهم بهذا الشرق بل إلى العالم داعين شعبهم إلى الثبات على الإيمان والمحافظة على تراث الآباء والأجداد، **حتى وصل إلى العالم الجديد رائد النهضة السريانيّة الملفونو نعوم فائق عام ١٩١٢**، وكان بوقًا مدويًّا نافخًا في قلوب الكلّ، صغارًا وكبارًا، روح الوطنيّة والوفاء والإعتداد بأمجاد الأمّة السريانيّة.

ومن خلال الصحافة والمجلاّت والنشرات التي أصدرها هذا المعلّم العالم، ربط المهجر بالوطن، فاشتهرت مجلاته:

ܟܘܟܒ ܡܕܢܚܐ كوكب الشرق، ܒܝܬ ܢܗܪܝܢ ما بين النهرين، و ܚܘܝܕܐ الإتحاد، وسواها. هذا الصوت الصارخ في ربوع السريان المقيمين والمنتشرين.



ܡܠܦܢܐ ܪܒܐ ܢܥܘܡ ܦܐܝܩ

ملفونو نعوم فايق

رائد النهضة السريانيّة في القرن العشرين

الفصل الثاني

تكوين مؤسّسة أصفر ونجار إخوان

١. نشوء العائلة في ديار بكر

من هذه البقعة العزيزة ومن هذه الذريّة الخالدة، ومن مدينة ديار بكر نبعت عائلة أصفر ونجار إخوان، لتتابع رسالة الأباء والأجداد، وتكون مثالاً صالحًا وقدوة حسنة ونموذجًا فريدًا يُحتذى به من قبل الأجيال الصاعدة.

تزوّج سعيد نجار عام ١٩٠١ من السيّدة مريم رضواتلي التي كان سبق الزواج بها عام ١٨٩٤ ايرموش أصفر والذي قتل خلال مذابح عام ١٨٩٥ الشهيرة بعيد ولادة الطفل مسعود أصفر وأصبحت مريم أرملة وهي لم تتجاوز العشرين من عمرها.

أنجبت مريم من سعيد نجار ستة أولاد (خمسة ذكور وأنثى واحدة) وهم عبد المجيد عام ١٩٠٣، ولطفي عام ١٩٠٥، وسميرة ١٩٠٨، وشكري ١٩١٠، ويعقوب ١٩١٣، وآخرهم الياس ١٩٢١ (كاتب هذه المذكرات). ولهذه الأسباب سميت "عائلة أصفر ونجار إخوان".

تبنّى سعيد نجار الطفل مسعود أصفر وحفظ له اسم عائلته، ورعاه واهتمّ في تربيته على الاستقامة والأخلاق الحسنة

وعلى الأمانة. وأرسله إلى المدارس لإكمال علومه إلى درجة دار المعلمين. وعند بلوغ مسعود سنّ الرشد أشركه بالسلطة على أولاده الآخرين. وتولّت الوالدة مهمة غرس روح المحبّة لبعضهم البعض والتضامن والثقة فيما بينهم.

٢. ولادة المؤسّسة العائليّة ونشاطها في ديار بكر

ولدت نواة المؤسّسة العائليّة بعام ١٩٢٢، وتشكّلت **من الوالد سعيد نجار**، بصفته الأب الروحي وداعمها، والمرحوم مسعود أصفر الدماغ المخطّط لها، والمرحوم عبد المجيد نجار العامود الفقري لها. وفيما بعد انضمّ إليهم لطفي نجار مساعدًا.

وكان الأخوان المرحومان شكري ويعقوب في تلك الحقبة، يتابعان دروسهما في المدارس التركيّة. بينما شقيقهم الياس (كاتب هذه السطور) كان ما يزال طفلاً رضيعًا.

توزّع نشاط المؤسّسة منذ البداية في الزراعة، كان للوالد قرية اسمها **"ملوك سراي"** بالقرب من ديار بكر وفيها آثار كنيسة لمار الياس، ومن ثمّ تفرغوا إلى إدارة تربية دودة القزّ للحرير وصناعته لآخر مراحل تحويله إلى الغزل والنسيج.

وكان لنشاطهم تأثيرٌ إيجابيٌّ في المنطقة.



مشهد عام لآمد (ديار بكر) من القلعة الخارجيّة حتّى الداخليّة

نقلاً عن كتاب (آمد مدينة الفخر) للأستاذ برهان إيليا

الفصل الثالث

النـــزوح

١. النـــزوح إلى الجنوب (إلى سورية)

رغم انتشار نشاطات العائلة في ديار بكر وجنيهم الأرباح من عملهم، لكنّهم كانوا يشكون من التمييز العنصريّ وعدم الاستقرار النفسيّ للمستقبل.

وخلال ذلك تهب **رياح الحرّيّة والعدالة والمساواة من الجنوب (سوريا ولبنان)** بعيد توقّف الحرب العالميّة الأولى. حيث تمّ اقتطاع بلاد الشام من تركيا، ووضعت تحت الانتداب الفرنسي تمهيدًا لإعطائها استقلالها. فقرّر كبار العائلة النـــزوح إلى الجنوب بصورة تدريجيّة لأجل إمكان بيع جميع ممتلكاتهم وعقاراتهم. فأرسلوا عام ١٩٢٨ يعقوب أولاً إلى بيروت وعمره /١٥/ عامًا لإكمال دراسته الثانويّة والجامعيّة، ومن ثم أرسل لطفي وشكري إلى سوريا للاستطلاع، اللذين استقرا في مدينة القامشلي الفتيّة وعمرها عشر سنوات. وعندما وجدوا الحرّيّة والمساواة مطبّقة في المنطقة، طلبوا التحاق عبد المجيد بهما الذي نزح عام ١٩٣٠ وبعده الوالد والوالدة وسميرة وكاتب هذه السطور وفي عام ١٩٣٢ أنهى مسعود أصفر مهمّته القاضية ببيع رصيد ممتلكاتهم استنادًا للوكالة

الرسميّة المعطاة له من الوالد (سعيد نجّار) والالتحاق بالعائلة في القامشلي.

وتزامنًا نزحت عائلات عديدة من جنوب تركيا إلى القامشلي أمثال عائلة جرموكلي من ديار بكر، هدايا وترزيباشي من ماردين وأسمر وسفر وحدّاد وكلو شابو من مديات وطور عابدين وعائلة شلاح إلى رأس العين وسواهم.

٢. الاستقرار في القامشلي

استقرّت العائلة في القامشلي لأسباب عدة منها اقتصاديّة، ومنها معنويّة وخاصّة من الترحيب والتشجيع الذي لاقوه من المقيمين والسابقين من النازحين ومن رؤساء العشائر العربيّة (عشيرة الطي والحرب والراشد).

وكانت تلك الفترة بداية بناء الدولة السوريّة والمؤسّسات والأحزاب الوطنيّة. ونجحت عائلة أصفر ونجار في نسج علاقات صداقة مع المخلصين للوطن.

٣. بدء النشاط في القامشلي

باشر الأخ مجيد بمؤازرة الإخوان لطفي وشكري في مجال الزراعة وخاصة زراعة الأرز وصناعته، والتعاقد مع أصحاب الأراضي من عشيرة الحرب لبناء القرى وإسكان النازحين من تركيا من الفلاحين السريان والأرمن وفلاحة الأراضي

واستئجارها. بدءاً من قرية أبو جلال ودوسة ومن ثم قرية ملوك سراي (وهو اسم قريتهم في ديار بكر) حيث عمّروا فيها بيتًا لهم لإدارة المزارع في المنطقة.

إنّ نهر جغجغ الذي ينبع من تركيا، يخترق مدينة القامشلي ويصبّ في الخابور من ثمّ في الفرات وبعد ذلك في شط العرب.

أقام الأخوان أصفر ونجار سدًّا على هذا النهر في قرية ملوك سراي ونقلوا المياه إلى أراضي تل التين وزرعوا الأرز عليها.



مدينة القامشلي
في الأربعينات والخمسينات من القرن العشرين

الفصل الرابع

نشاط المؤسّسة في سورية

١. تطوّر نشاط المؤسّسة في الجزيرة

إنّ مدينة **القامشلي** هي قضاء في محافظة تسمى بالجزيرة (الحسكة) وهي واقعة بين نهري الدجلة والفرات.

وعندما نزح الأخ الأكبر مسعود أصفر من ديار بكر إلى القامشلي عام ١٩٣٢، بدأت المؤسّسة بالتوسّع في زراعة الأرز وإقامة مصنع حديث في القامشلي لقشر الأرز وتبيضه.

وفي منتصف شهر تموز من عام ١٩٤١، قام الأتراك بتحويل مجرى نهر الجغجغ، وأتلفوا بذلك كلّ مزروعات الأرز عليها.

أمام هذه الحالة المؤسفة لجأ الأخوان إلى البحث عن مصادر للمياه للري في أماكن أخرى من محافظة الجزيرة وحيث بلغت بهم الهمّة للذهاب إلى بحيرة الخاتونية (على حدود العراق وجبال سنجار)، ونصبوا المضخات ومحركات تعمل على الديزل، لسحب المياه من البحيرة وسقاية الأراضي وزراعة الأرز وذلك عام ١٩٤١، ولكن المساحات القابلة للزراعة كانت محدودة.

وفي عام ١٩٤٢ وصلوا إلى رأس العين حيث وجدوا ينابيع المياه تنبع في المدينة تسيل وتشكّل نهرًا سوريًّا مئة بالمئة هو نهر الخابور. ولكن لا يمكنه الاستفادة من مياهه للري بالراحة إلاّ بإقامة سدّ كبير في منتصف مساره باتجاه الحسكة، حيث يكلّف ذلك أموالاً طائلة. إنّه عمل دولة وليس عمل أفراد أو شركات.

فانصرفوا إلى التعاقد مع خليل إبراهيم باشا لتركيب مضخات مع محركات كبيرة على النبع **"عين زرقاء"** برفع المياه من النبع بارتفاع خمسة عشر مترًا ونقلها بالسواقي والقنوات إلى الأراضي المجاورة لزراعة الأرز.

٢. إدخال الآلة الميكانيكيّة في الزراعة

التحق الأخ يعقوب، عام ١٩٣٥ بالمؤسّسة بعد إكمال علومه في بيروت والتخصّص في الميكانيك.

وفي العام ١٩٣٦، أدخلوا لأول مرة في الشرق، الآلة الميكانيكيّة باستيرادهم الجرار من ماركة كيز (Case)، يعمل على الكاز، وحصادة رباطة من ماركة "ماسي هاريس" (Masy Haris) وفي العام ١٩٣٨ أدخلوا التراكتور "كاتربيلار" (Caterpillar) والحصادة الدرّاسة من ماركة "جون دير" (John Deer).

٣. تأسيس شركة أصفر ونجار إخوان التضامنيّة

مع بدء توسّع الأعمال الزراعيّة واستصلاح الأراضي بالآلة

الميكانيكيّة وتطوّر العلاقات الماليّة والمصرفيّة وازدياد عدد العمّال العاملين مع المؤسّسة، قرّر الاخوان التمنّي عليّ (كاتب هذه السطور) قطع متابعة دراستي الجامعيّة والالتحاق بالمؤسّسة للاشراف على المحاسبة والعلاقات المصرفيّة.

وبهذه المناسبة، تقرّر أيضًا التحوّل إلى شركة نظاميّة باسم: **أصفر ونجار إخوان**، شركة تضامنيّة أعضاؤها: مسعود أصفر، عبد المجيد نجار، لطفي نجار، شكري نجار، يعقوب نجار، والياس نجار، مع حقّ التوقيع لجميع الأعضاء والمسؤوليّة المشتركة، مع المساواة في الحقوق والواجبات.

٤. مجلس إدارة الشركة

كان للشركة مجلس إدارة مؤلّف من جميع الأعضاء الستّة. وكان مسعود أصفر رئيسًا لهذا المجلس وعبد المجيد نجار نائبًا للرئيس والياس أمينًا للسر. والتحق مؤخرًا عام ١٩٥٤ عضوًا جديدًا من الجيل الثاني للعائلة كمراقب وهو إدوار أصفر النجل الأكبر للمرحوم مسعود أصفر.

كان يجتمع المجلس دوريًّا سنويًّا سواء بحلب أو القامشلي ويتدارس الأعضاء المواضيع المعروضة وتتّخذ القرارات بالإجماع.

وبهذه المناسبة لا بدّ من التوقّف لذكرى الفاجعة الأليمة التي تعرّضت لها العائلة بأكملها بوفاة زهرة شبابها اللامع والواعد

لمستقبل مشرق ألا وهو **المرحوم فوزي**، النجل الثاني للمرحوم عبد المجيد نجار، في ربيع العمر لم يتجاوز العشرينات من عمره، وذلك خلال متابعة دراساته العالية في الجامعة في باريس (فرنسا) لنيل شهادة /Politechnique/ عام ١٩٦٠.

٥. فتح فرع حلب

بعد أن وضعت الحرب العالميّة الثانية أوزارها عام ١٩٤٥، وبعد إلغاء حصر شراء القمح من مكتب الحبوب، كانت مؤسّسة أصفر ونجار تصرف إنتاجها من الحبوب عن طريق الوسطاء في حلب.

وعليه رأت المؤسّسة أنه من الضروري أن تؤسّس لها فرعًا خاصًّا في حلب لتسويق إنتاجها وتأمين احتياجات فرعَي الزراعة في القامشلي ورأس العين.

فقد تسلّم إدارة الفرع في حلب الشقيق الكبير مسعود أصفر يعاونه شقيقه المرحوم لطفي نجار. ابتاعوا أرضًا في منطقة من حلب تدعى (بليرمون) ومساحة الأرض عشرون ألف متر مربّع. شيّدوا عليها المباني التالية:

١) مكاتب إدارية لإدارة الفرع.
٢) ميزان أرضي بطاقة خمسين طنًا.
٣) مجمع كبير لتجفيف الأرز بواسطة الحرارة. طاقته مئتا طن يوميًّا من الأرز غير المقشور. استوردوه من إيطاليا.

٤) أوّل مصنع لقشر الأرز من نوعه في الوطن العربيّ استوردوه أيضًا من إيطاليا، بطاقة يوميّة لتقشير وتبييض مئة طن من الأرز الخام.

٥) مستودعات من الحجر والإسمنت تستوعب عشرين ألف طنًا من الحبوب.

٦. تأسيس شركة تجاريّة بدمشق

وجدت مؤسّسة أصفر ونجار الزراعيّة أنّ إنتاجها يباع محليًّا إلى تجّار تصدير بأقل من سعره وكلفته الحقيقيّة.

وفي عام ١٩٥٢، قرّر أعضاء المؤسّسة الزراعيّة تأسيس شركة تجاريّة للإستيراد والتصدير بإسم **شركة أصفر ونجار إخوان**. أناطت إدارتها إلى **شقيقهم الأصغر الياس نجار**.

بدأت الشركة المذكورة بعد تأسيسها بإقامة علاقات تجاريّة واسعة وعيّنت لها وكلاء في ألمانيا وإيطاليا وفرنسا وإنكلترا والدانمراك وخاصة في بورصة الشعير في لندن.

وخلال بضع سنوات، تمكّنت الشركة من تصدير ما يزيد عن ثلاثمئة ألف طن من الشعير، و /١٠٠/ ألف طن من القمح إلى أوروبا. واستوردت الشاحنات والمقطورات للفرع الزراعيّ وللأسواق المحليّة. وكذلك الحصادات والدرّاسات والجرّارات الزراعيّة والتراكتورات وأنواع المعدات وغيرها.

٧. أسطول النقل البريّ

كانت المؤسّسة وخاصّة فروعها الإنتاجيّة في قامشلي ورأس العين، تعاني المصاعب في نقل المحاصيل يوميًّا وخلال مواسم الحصاد، إلى حلب واللاذقية لأجل التصدير عن طريق البحر بواسطة البواخر المنتظرة في المرفأ.

فأسّست الشركة فرعًا للنقل واستوردت لذلك أسطولاً من الشاحنات (قاطرة ومقطورة بحمولة صافية/٥٠/ طنًا لكلّ منها) وعددها /٤٠/ شاحنة وأناطت إدارتها إلى أحد أعضائها: المرحوم لطفي نجار.

الفصل الخامس

إنجازات المؤسّسة في سورية

١. لمحة عن تاريخ المؤسّسة خلال المرحلة الأولى في سورية

إنّ أعضاء هذه المؤسّسة وكلّهم أخوة، قد نزحوا بعيد الحرب العالميّة الأولى، من القسم الجنوب شرقي من تركيا، من مدينة ديار بكر إلى القامشلي، كما جاء سابقاً، وقد جرى النـــزوح تدريجيًّا بحيث تمكّن أفرادها من بيع القرى والأراضي والعقارات التي كانوا يملكونها ونقلوا قيمتها إلى سورية العربيّة واستقرّوا في القامشلي التي لم تكن سوى قرية صغيرة لا يزيد عدد سكانها عن بضعة آلاف، واليوم مع ضواحيها تتجاوز المليون نسمة.

فتحمّلوا عاديات الطبيعة وتعرّض أفرادها وأولادهم للأمراض الفتّاكة وخسروا والديهم في السنين الأولى من النـــزوح وعددًا لا يُستهان به من الأطفال، ولكنّهم حافظوا على كرامتهم من الاضطهاد والإذلال وتنشّقوا نسيم الحريّة. فجاهدوا وناضلوا مع إخوانهم النازحين وأصدقائهم من رؤساء العشائر والمخلصين للوطن، منذ أن وطئت أقدامهم أرض الحريّة. إنّ أضابير الجهات الرسميّة وشهادات المجاهدين القدماء والموظّفين الحكوميّين الذين

تعاقبوا على إدارة محافظة الجزيرة في ذلك العهد يشهدون لماضيهم الوطنيّ.

فقد استمرّ كفاحهم في هذا السبيل وتصدّوا بقوة وعزم في وجه الزحف الشعوبي الإنفصاليّ، حتى بعد الجلاء وضحّوا في سبيل ذلك كثيرًا من أموالهم ومصالحهم وعرّضوا حياة أفرادهم للخطر من الانتداب مرات عديدة.

٢. حيازتهم للأراضي الزراعيّة

منذ نزوح أفراد مؤسّسة أصفر ونجار إخوان عن ديار بكر واستقرارهم في مدينة القامشلي (سوريا)، اعتبروا أنّ هذا البلد وطنهم النهائيّ لهم وللأجيال الصاعدة. فتصرّفوا على هذا المبدأ وأقدموا على توظيف الأموال التي جلبوها معهم من ديار بكر (تركيا) على شراء الأراضي الزراعيّة، خارج المدن، بقصد الاستثمار والإنتاج وتوظيف آلاف العمّال والفلاحين والمساهمة في دعم الدخل القوميّ للبلاد.

تنفيذًا لهذه السياسة باشروا بشراء قرية ملوك سراي، وإقامة السدّ من الحجر والإسمنت على نهر الجغجغ الذي يسيل بمحاذاة هذه القرية، ومن ثم شراء قرية أبو خزف وغراسة وكبيبة وعمري من أصحابها الشيخ محمّد عبد الرحمن شيخ عشيرة الطي الصديقة وقرية شلبارات وتلّ التبن.

يكفي لآل أصفر ونجار إخوان فخرًا بأنّهم لم يمتلكوا أو

يستولوا على شبر من الأرض عن طريق الاغتصاب أو الاستيلاء بالنفوذ أو القوة أو تهجير الفلاحين، وإنّما اشتروا الأراضي ودفعوا ثمنها وأسكنوا الفلاحين فيها.

٣. إستصلاح الأراضي البائرة

بانتشار نشاط المؤسّسة باتجاه غرب القامشلي أي إلى منطقة رأس العين بحثًا عن مصادر المياه الحلوة لزراعة الأرز وتعاقدهم مع ورثة إبراهيم باشا، أخذوا على عاتقهم استصلاح الأراضي البائرة والخالية منذ الخليقة والتي كان يسكنها الجراد والغزلان والذئاب.

وكانت مساحة هذه الأراضي حسب سند التمليك الرسميّ السوري وحسب الحدود الواردة في السند صراحة، تزيد عن /٣/ ثلاثة ملايين دونم ما يعادل /٣٠٠، ٠٠٠/ هكتار.

القسم الشمالي من هذه الأراضي والتي مساحتها /١٥٠,٠٠٠/ هكتار، وحدها صالحة للاستصلاح والزراعة البعليّة المعتمدة لكمية الأمطار التي تسقط في الشتاء والربيع. وكانت المحافظة على هذه الأراضي، من تعديات الجوار، سواء الصالحة وغير الصالحة مكلفةً ومتعبةً جدًّا. إنّ المثل يقول: **"الأرض مثل العرض، يجب المحافظة عليه مهما كلّف الثمن"**. وهكذا كانت متاعب هذه الأراضي وحراستها أكثر من فوائدها.

غير أنّ استصلاح الأراضي الصالحة كلّها، يملك أصفر ونجار إخوان ٥٠٪ منها، والنصف الآخر لآل ابراهيم باشا، لا يمكن أن

يتمّ إلاّ بالآلة الميكانيكيّة النادرة في تلك الأيام من الحرب العالميّة الثانية وإغلاق البحار وتوقّف الاستيراد.

٤. بعض نشاطات الشركة في الزراعة والعمران والخدمات الإجتماعيّة

١) زراعة الأرز في سوريا، لأول مرة وإنشاء مصنع لقشره وتبييضه منذ عام ١٩٣١.
٢) إدخال الآلة الميكانيكيّة في الزراعة لأوّل مرة في سوريا، عام ١٩٣٦.
٣) إنشاء القرى خارج المدن وإسكان الفلاحين بالرغم من الصعوبات والمخاطر من العشائر.
٤) إستصلاح الأراضي البائرة منذ الخليقة وتحويلها إلى أراضٍ صالحة للإنتاج، اعتبارًا من عام ١٩٤٢.
٥) إقامة أول علاقة تعاونيّة مع العمّال الميكانيكيّين ومدّهم بآلات العمل والمال والبذار والإرشادات الفنيّة، وإشراكهم في الإدارة والأرباح وتمليكهم وسائل الإنتاج من الآليّات.
٦) تحضير أفراد العشائر وتحويلهم من البداوة إلى الحضارة وجعلهم عناصر صالحة ومنتجة مفيدة للمجتمع وتوزيع الأراضي عليهم.
٧) استعمال وسائل الري الحديثة بالرش الإصطناعي لزراعة القطن واستيراد معداتها من ألمانيا عام ١٩٥٥.

٨) تخطيط وتنفيذ أول قرية (مدينة صغيرة) نموذجيّة في وسط الأراضي المستصلحة في منطقة رأس العين وسميت **"المبروكة"**.

٩) المساهمة في تأسيس أول شركة كهرباء لتغذية مدينة القامشلي بالكهرباء ليلاً ونهارًا وذلك عام ١٩٤٩.

١٠) المشاركة بسخاء في التبرّعات للأعمال الخيريّة والإنسانيّة والوطنيّة والثقافيّة والعلميّة والمعابد الدينيّة، بدون تمييز طائفيّ أو مذهبيّ.

٥. مشاريع الشركة البعيدة المدى

أ – مشروع العشرين سنة للزراعة المروية

بوشر التنفيذ عام ١٩٤٢، برفع المياه من نهر الخابور لزراعة الأرز والقطن.

وجرى تطوير وتأهيل المشروع اعتبارًا من عام ١٩٥٣، وصمّم على أساس سحب نهائي من مياه النهر /٣/ ثلاثة أمتار مكعبة من المياه في الثانية، وعلى مرحلتين. وصمّم مشروع من قبل المهندس صبحي مظلوم.

المرحلة الأولى تشمل محطة للضخّ وفيها ستّة محرّكات مع مضخاتها، لرفع المياه على علو /١٥/ مترًا، عن سطح النهر. وقناة لنقل المياه إلى المحطة الثانية، بعرض خمسة عشر مترًا وبعمق مترين وطول /٣/ ثلاثة كيلومترات وكلّها مطلية بالإسمنت.

والمحطة الثانية المخصّصة لضخ هذه المياه، ضمن أنابيب فولاذيّة بقطر/١٠٠/ سنتمتر وطول ثلاثة كيلومترات، وبارتفاع عشرين مترًا، وتتألّف هذه المحطة من عشر مجموعات للضخ بقوة /٣٠٠/ حصان كلّ مجموعة.

ويشمل المشروع إنشاء شبكة توزيع هذه المياه بأقنية يزيد طولها عن /٢٠/ كيلومترًا وكلّها مطليّة بالإسمنت (الباطون).

قام بتنفيذ المشروع شقيقي يعقوب نجار شخصيًّا مع عدد كبير من المساعدين على رأسهم مهندس الري برانكو (Branco) وعدد كبير من العمال.

وكان هدف المشروع إرواء مساحة /٣٠٠٠٠/ ثلاثين ألف دونم من الأراضي في قرى: **تل حلف، أم الدبس، وتلبلية**.

وعند صدور قانون الإصلاح الزراعي عام ١٩٥٨، كان قد نفذ ٦٠٪ من المشروع.

ب – مشروع العشرين سنة للزراعة البعليّة

إن غاية المشروع هي استصلاح الأراضي البائرة البعليّة في منطقة راس العين، ويتمّ هذا العمل على مرحلتين. **فالمرحلة الأولى مخصّصة لإستصلاح الأرض** والإنفاق عليها سواء بفلاحتها فلاحات عميقة أو بإجراء تسوية ترابية لها وجمع الأحجار وغسلها من الأملاح والشوائب. **أمّا المرحلة الثانية فهي للمباشرة باستثمار**

الأراضي المستصلحة لتسديد الخسائر الناتجة عن مرحلة الاستصلاح.

بوشر بتنفيذ المرحلة الأولى منذ عام ١٩٤٢، وبدأ بالانتشار بعد انتهاء الحرب العالميّة الثانية عام ١٩٤٥، حيث بوشر إستيراد التراكتورات على السلاسل ومعدّات الحراثة والحصادات التي بلغ عددها أكثر من أربعين.

وتوازيًا جرى تنفيذ المرحلة الثانية باستعمال التراكتورات على الدواليب، وبلغ عددها أكثر من خمسين مع الحصادات والدرّاسات.

كان يعمل في هذا المشروع أكثر من ألفي عائلة، معظمها كانت تسكن في "**مبروكة**" في المساكن المخصّصة للعائلات.

وعند صدور قانون الإصلاح الزراعي، كان قد نفّذ أكثر من ٧٥٪ من المشروع بما فيه مركز مبروكة.

ج - مركز مبروكة النموذجي

وبنفس الدافع الإصلاحي فقد تقرّر إقامة قرية نموذجيّة فيها جميع الأسباب اللازمة لاحتياجات الاستثمار الزراعيّ الآلي الحديث.

ورغم أنّ إقامة المراكز النموذجيّة وفقًا للمخطّطات الموضوعة لها تتطلّب إمكانيّات تفوق طاقة الفرد، ورغم ضعف المواسم

لأسباب الجفاف فقد تمكّنت الشركة من إقامة الأبنية الضروريّة وتأسيس المرافق الحيويّة أمثال مكاتب الإدارة والمخابر الفنيّة، وورشات التصليح والصيانة المختلفة، ومخازن قطع الغيار ومستودعات التموين المختلفة والقوة المولّدة للكهرباء وشبكة توزيع المياه والكهرباء، والمساكن العماليّة النموذجيّة للعائلات والعازبين، والمطاعم الشعبيّة، والمستوصف الطبّي والمسبح وغيرها من وسائل الراحة والترفيه عن العمّال والفلاحين ومبنى لإدارة المشروع، ومنـــزل لإقامة المسؤولين عن إدارتها.

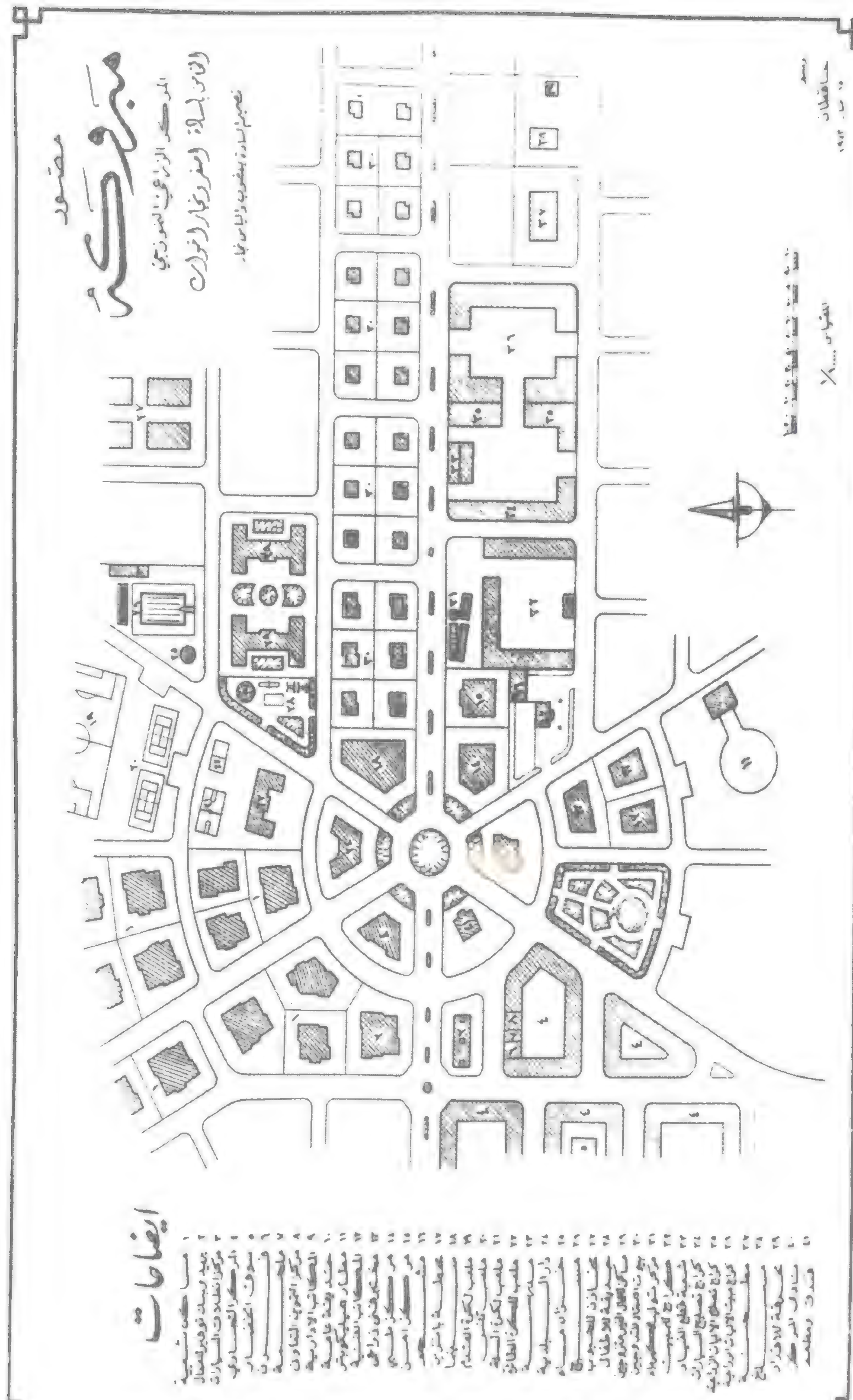
إنّ مركز مبروكة النموذجي حاز أيضًا على إعجاب الخبراء العرب والأجانب ونخصّ منهم خبراء بنك الإنشاء والإعمار الدولي الذين زاروه عام ١٩٥٧.

للمناسبة وللتاريخ، يستوجب سرد الحادثة التالية:

في مطلع أيار من عام ١٩٥٣، شرّفنا قداسة الحبر الأعظم المثلّث الرحمات **مار أغناطيوس أفرام الأوّل برصوم**، بطريرك السريان الأرثوذكس لأنطاكية وسائر المشرق، في نهاية زيارته الرعويّة الرسوليّة لمحافظة الجزيرة، تناول قداسته طعام الفطور في هذا المركز، وألقى عليه اسم "**المبروكة**" التي أصبحت تُعرَف رسميًّا بهذا الإسم، بينما كان الإسم القديم لهذا المركز "**أبو شاخات**".

وتجدون في نهاية هذا الشرح مخطّطًا لهذا المركز.

وتجدون أيضًا في نهاية هذا الكتاب، مقتطفات عن سجلّ زوّار المركز.


ايضاحات

د- بعض أعمال المؤسّسة العمرانيّة المختلفة

إنّ مؤسّسة أصفر ونجار إخوان، كانت تهتمّ دائمًا بما يعود للنفع العام بقدر اهتمامها بمصالحها الخاصة، لذلك نرى بأنّها قد ملأت المناطق التي كانت لها مصالح زراعيّة فيها، من الأعمال العمرانيّة التي كان الأصحّ أن تقوم بها الدولة كالجسور والأقنية والطرق والسدود. وإليكم بعضها:

- **الجسور بالإسمنت المسلّح**

لقد أقامت المؤسّسة في منطقة القامشلي عددًا كبيرًا من الجسور على نهر الجغجغ وفروعه. وقد بلغ عددها /١٢/ إثني عشر جسرًا بقياسات مختلفة تتراوح بين ٥ × ٥ أمتار و٧ × ١٤ مترًا.

أما في منطقة رأس العين فقد بلغ عدد الجسور /١١/ أحد عشر جسرًا بقياسات مختلفة. ويكلّف إنشاء كلّ جسر في حينه بين /٥٠٠٠٠/ دولار و /١٥٠٠٠٠/ دولار أميركيّ.

- **السدود:**

لقد أنشأ أصحاب المؤسّسة عدّة سدود صغيرة على الأنهر وأكبر سدّ هو سدّ "ملوك سراي" الذي شيّدوه عام ١٩٣٧ على نهر الجغجغ. وهو من الإسمنت المسلّح قوي الدعائم.

هـ - الإختبارات الفنيّة الزراعيّة

إنّ الاختبارات والأبحاث هي سرّ نجاح معظم الأعمال وخاصّة الزراعيّة منها، وتحتاج هذه الأعمال قسطًا كبيرًا من الجهد

والمال. فقد قامت هذه المؤسّسة باختبارات واسعة في جميع الميادين الزراعيّة. فمنذ أن أدخلت زراعة الأرز إلى سورية عام ١٩٣٠ قامت بسلسلة من التجارب، واستوردت البذورات المختلفة لهذه الغاية من مختلف البلاد أهمّها: تركيا، القطر المصري، الهند الصينيّة، اليابان، وكاليفورنيا، وإيطاليا، وأجرت التجارب العديدة عليها.

أمّا التجارب التي قاموا بها لانتقاء الأنواع الملائمة من بذور القمح والشعير فكانت ناجحة جدًّا. وقد استوردوا من إيطاليا أحدث آلة لانتقاء البذر وتعقيمه بصورة آليّة.

و- محطّة الأرصاد الجويّة

كذلك أنشأت هذه المؤسّسة المحطة الأولى للرصد الجوي في محافظة الحسكة وكانت مجهّزة بأحدث الآلات المسجّلة للحرارة والرطوبة والضغط الجوي وقياس كميات الأمطار وغيرها من التجهيزات الضروريّة.

وكانت تعتمد وزارة الزراعة ومصلحة الرصد الجويّ على مشاهدات هذا المركز وتدونها في إحصاءاتها الرسميّة.

الفصل السادس

الأعمال الإجتماعية والتعاونية

١. التعاونيّة في أعمال المؤسّسة

إنّ لشركة أصفر ونجار إخوان الزراعيّة الفخر بأنّها باشرت بتطبيق المبادئ التعاونيّة في علاقاتها مع عمالها منذ عام ١٩٤٣ وذلك رغبة من أعضائها في تحقيق العدالة الأجتماعية مع العاملين معها.

فقد استغرقت الدراسات والاختبارات العمليّة لوضع نظام عملي ملائم في موضع التطبيق الواسع، مدة أربع سنوات، اختبرت خلالها أنظمة مختلفة ولمدة قصيرة وعلى مقياس ضيّق حيث طبق أيضًا مبدأ إعطاء العمال ٢٥٪ من الأرباح الصافية. غير أنّ كلّ هذه الأنظمة لم تعط النتائج الإيجابيّة المرجوة منها وكانت في بعض الأحيان سببًا لسوء الاستعمال ولتخفيض مستوى الإنتاج.

ففي عام ١٩٤٧ توصّل أفراد المؤسّسة لوضع نظام متكامل استطاع أن يعطي خلال فترة الاختبار المحدّدة بخمس سنوات، النتائج المطلوبة منه، سواء من حيث تحقيق العدالة الاجتماعية ورفع مستوى العامل الماديّ والإجتماعيّ، وسواء من حيث زيادة الإنتاج، والدخل القومي وتخفيض نفقات الاستثمار. وفي أعقاب نجاح النظام المذكور خلال فترة اختباره العملي، قامت المؤسّسة

بتوسيع تطبيقه على نطاق واسع وعلى جميع العمال العاملين لديها، والمتوفرة لديهم الشروط المطلوبة، وذلك اعتبارًا من عام ١٩٥٢. وبلغ عدد المسؤولين المباشرين عن هذه العمليّة خمسين رئيس تعاونيّة واستفاد أكثر من ألف عامل من نتائجها الماديّة.

ألخّص فيما يلي بعض المنافع التي تعود على العامل ورب العمل والإقتصاد القوميّ معًا من جرّاء تطبيق هذا النظام التعاوني:

أ – المنافع التي تعود للعامل:

١. منح العامل الفرصة والإمكانيّة لينال قسطًا من المحصول يوازي أتعابه ومسؤوليّاته.
٢. إفساح المجال للعامل النشيط والمستقيم للتقدّم والتطوّر.
٣. رفع مستواه المادّي والإجتماعي وزيادة دخله الخاص.
٤. تأهيله وتدريبه على إدارة الأعمال فنّيًا وخلقيًّا واداريًا وعلى أسس تعاونيّة سليمة.
٥. بث روح المسؤوليّة فيه والاعتماد على النفس.
٦. تمليك العامل وسائل الإنتاج.
٧. تدريبه على التسيير الذاتي.

ب – الفوائد التي تعود على رب العمل:

١. خلق جوّ من التفاهم والتعاون بين ربّ العمل وعماله.
٢. تخفيض عمليّات المراقبة بعد أن أصبح العامل شريكًا، وبهذه الوسيلة يمكن التوفير في النفقات وتخفيف المسؤوليّات عن كاهل ربّ العمل ليتمكّن من توسيع أعماله.

ج – المنافع التي تعود على الإقتصاد الوطنيّ:

١. توزيع الدخل بشكل عادل بين المواطنين وتحقيق العدالة الاجتماعيّة.

٢. توفير النفقات الإستثمارية وخاصة في قطع الغيار وإستهلاك الآليات والمحروقات التي تدفع البلاد قيمتها بالقطع النادر للخارج.

٣. زيادة الإنتاج وتحسينه بحيث يزيد الدخل القوميّ للبلاد بالنسبة للمساحات المستثمرة.

٤. توسيع رقعة المساحات المستصلحة المستثمرة من الأراضي البائرة الموات وزيادة الدخل القوميّ في البلاد.

٥. تحويل فئة من المواطنين من عمال اتكاليّين إلى أرباب عمل منتجين ومؤهلين لإدارة الأعمال والمشاريع.

د. بعض النتائج العمليّة التي تحقّقت:

في نهاية الدورة الزراعيّة لعام ١٩٥٧ تخرّج الفوج الثاني من المصالح التعاونيّة وعددهم يناهز الخمسين وكانوا قد تعاقدوا لمدة خمس سنوات أي من ١٩٥٢ إلى ١٩٥٧.

إنّ التصفية النهائيّة مع معظم هذه المصالح كانت مرضية جدًّا، بحيث تمكّن أصحاب هذه المصالح الذين كانوا عمالاً عاديّين في عام ١٩٥٢، من تسديد كامل قيمة الآليات المسلمة إليهم والتي تتراوح قيمة كلّ مجموعة منها بين /٧٥٠٠٠/ و /١٠٠٠٠٠/ دولار أميركي، أي ما يعادل حوالي /٥/ خمسة ملايين دولار. وقد نال أيضًا بعضهم بالإضافة إلى الآلات ربحًا صافيًا يتراوح بين

/٣٥٠٠٠/ و /٥٠.٠٠٠/ دولار أميركي. هذا بالإضافة إلى الخبرة الفنيّة والإداريّة في شؤون الزراعة البعليّة وإستعمال الآلات الميكانيكيّة وروح التعاون والمحبّة والانضباط التي اكتسبها كلّ فرد منهم. وبالإضافة إلى المكافآت التي وزعت للعمال العاديّين الذين تعاونوا معهم خلال هذه الفترة.



صورة تذكاريّة لأعضاء مجلس الإدارة وأعضاء التعاونيّات الزراعيّة عام ١٩٥٤

الجالسون، من اليمين: إدوار مسعود أصفر، يعقوب نجّار، لطفي نجّار، مسعود أصفر، مجيد نجّار، شكري نجّار، الياس نجّار.

الواقفون: بعض رؤساء التعاونيّات الزراعيّة

٢. أعمال الشركة في الخدمات الثقافيّة والعمرانيّة

إنّ أفراد الشركة، إيمانًا منهم بأنه لا تستقيم الأمة إلاّ بتمسك أفرادها بمبادئ الدين والأخلاق، كانوا يقدّمون التبرعات السخية لإقامة المعابد الدينيّة والنوادي الثقافيّة والمعاهد التربويّة والجمعيّات الخيريّة والمياتم ودور تربية الأحداث الجانحين دون تمييز ديني أو عنصريّ.

وإعتقادًا منهم أيضًا بأنّه لا يمكن لأي بلد أو أمة أن تتقدّم أو تتطوّر نحو الحضارة بدون العلم والتكنولوجيا، وكانوا يخصّصون كلّ عام مبالغ طائلة لتدعيم المدارس والمستشفيات القائمة وذلك عندما كانت الدولة عاجزة ماديًّا عن القيام بهذا الواجب بصورة كاملة.

كما أنّهم كانوا يقدّمون المساعدة الماديّة للطلبة المتفوّقين لإكمال دراساتهم الجامعيّة سواء داخل البلاد أو خارجها.

٣. دعم وإدارة المدارس السريانيّة في القامشلي

في العام الدراسي ١٩٤٣، تنامى إلينا بأنّ المدارس السريانيّة في القامشلي، تعاني من عجز كبير، وقد تغلق أبوابها للطلاب الذين سوف يتعرّضون للتشرّد.

فسارعت المؤسّسة بالاتصال وتسديد العجز وإستلام الإدارة الماليّة على عاتقها وتأمين الأساتذة واستقدام **المدير العام من لبنان الأستاذ جورج كنعان**، وتمّ تكليفي رئاسة مجلس الإدارة وبذلك تمّ

إنقاذ آلاف التلاميذ من التشرّد، وقد تمّ إنشاء فرقة للكشاف وكذلك الموسيقى، وساهمت في تأسيس نادي الرافدين.

وعند زوال الأزمة وانتهاء الحرب العالميّة الثانية عام ١٩٤٥، طلب منّا المجلس الملّي للطائفة استلام المسؤوليّة شاكرين لنا مساعدتنا.

٤. تأسيس شركة كهرباء القامشلي

دعيت مؤسّسة أصفر ونجار إخوان عام ١٩٤٩، من قبل محافظ الحسكة في ذلك الوقت، **المرحوم الأستاذ عبد القادر الميداني**، للمساهمة والتشجيع لتأسيس شركة كهرباء لإنارة مدينة القامشلي بصورة منتظمة.

فلبوا الطلب وساهموا بـــ ٤٠٪ من رأسمالها وشجّعوا المواطنين للمساهمة بالرصيد وتمّ تأسيس الشركة في بضع ساعات، وتم **إنتخاب مسعود أصفر رئيسًا لها وجرى تعييني مديرًا تنفيذيًا**.

وفي فترة قصيرة تمّ وضع الدراسات الفنيّة وتحديد الطاقة اللازمة مع احتساب توسّع المدينة لخمسين سنة إلى الأمام، وتمّ تركيب ثلاثة مولّدات كلّ منها بقوة /١٥٠٠/ حصان وتنفيذ شبكة أرضيّة وهوائيّة للتوتّر العالي والمنخفض وتركيب العدّادات في البيوت وتنظيم الجباية.

وعند تأميم جميع شركات الكهرباء في سوريا، عام ١٩٥٣، اعتبرت هذه الشركة من أحسنها تنظيمًا وفنيًّا ومعدات، وبُعد النظر فيها للمستقبل.

الفصل السابع

خطة تمويل المؤسّسة ووضعها الماليّ

لم يقرّر أعضاء العائلة تجميد الأموال التي جلبوها معهم من ديار بكر من حصيلة بيع قراهم وبيوتهم وممتلكاتهم، إلى شراء الأراضي للعمار داخل المدينة أو بجوارها.

بل قرّروا توظيف هذه الأموال في الأراضي الزراعيّة والمشاريع المنتجة التي توفّر فرص عمل للمواطنين القادمين من تركيا، وتساهم في دعم البلاد، وزيادة الدخل القومي.

وفي أوائل الأربعينات فتح بنك سورية ولبنان فرعًا في مدينة القامشلي، وباشر في البحث عن زبائن، واشترط لتمويل العائلة ضرورة تأسيس شركة تضامنيّة لأجل فتح حساب للتمويل. **هكذا تمّ تأسيس شركة أصفر ونجار إخوان التضامنيّة الزراعيّة.**

واستمرّت الشركة تعتمد على هذا البنك في تمويله المحدود حتى بداية الخمسينات، حين فتحت المؤسّسة فرعًا تجاريًّا لها عام ١٩٥٢ في دمشق. وبدأت البنوك تتزاحم في تمويل احتياجاتها لتنفيذ مشاريعها الزراعيّة الواسعة. واستمرّ هذا التمويل لفترة ست سنوات لغاية صدور قانون الإصلاح الزراعيّ عام ١٩٥٨، فقد أدّى صدور هذا القانون إلى رفع الغطاء المالي عن الشركة.

إن أفراد الشركة الذين توسّعوا في إنشاء المشاريع التي ذكرناها سابقًا، وفي إستصلاح الأراضي والتي لا يمكن أن تعيد هذه المشاريع المخطّطة لمدة طويلة الأجل، لا يمكن أن تعيد الأموال التي صرفت عليها فورًا، سواء القروض المأخوذة من المصارف، وسواءً حاصل أرباحهم الزراعيّة الموسمية.

ولهذه الأسباب كانت ماليّة الشركة في أزمة السيولة بصورة متواصلة.

شركة أصفر ونجار إخوان أنفقت كلّ ما جلبته معها من تركيا، والأرباح التي جنتها من استثمار مشاريعهما الزراعيّة والقروض التي استحصلت عليها، أنفقتها جميعًا في استصلاح الأراضي والمشاريع التي جرى ذكرها سابقًا، والتي تجاوزت /١٥/ خمسة عشر مليونًا من الدولارات الأميركيّة، ولم يبقَ عليها من القروض، عند صدور قانون الإصلاح الزراعي عام ١٩٥٨، رصيد مدين للمصارف سوى /٦/ ستة ملايين ليرة سورية أي /٢/ مليوني دولار أميركي. عدا الالتزامات الواقعة على المؤسّسة للأفراد وللشركات والعمال. والتي تزيد عن مليون دولار.

إنّ قانون الإصلاح الزراعي ينصّ صراحة بوجوب حلول الدولة بالديون المترتّبة على المالك المستولى على أرضه، من حساب التعويض الذي يستحقّه.

فقد تألّفت اللجان، في حينه ودرست الديون ووجدت أنّ كلّ الديون مستوفية الشروط لقبولها من الدولة، وبالتالي تحريرنا

منها، ولكن لتاريخ طبع هذا الكتاب، لم يصدر أي قرار من الجهات المختصّة بالقبول والالتزام بها .

وبهذه المناسبة، تجب الملاحظة بأنّ أيّ فرد من أفراد هذه المؤسّسة لم يسعَ إلى حفظ المال الأبيض للأيام السود، ولم يوفّروا بعضًا من المال رغم تلقّيهم النصائح من أصدقائهم. وكانوا يوظّفون كلّ ما كانوا يحصلون عليه سواء من أرباح المشاريع أو القروض في إعادة صرفه على توسيع المشاريع.

والذي زاد الطين بلّة، وعند صدور قانون الإصلاح الزراعيّ عام ١٩٥٨، وعندما أفاقوا إلى واقعهم الخطير، تعاقبت على البلاد ثلاث سنوات (أي سنوات الوحدة بين مصر وسورية) جفاف المواسم، وعدم الحصاد، وتوقّف تمويل المصارف. وهذا ما دعا إلى اللجوء إلى بيع حلي زوجاتهم وبناتهم لأجل الاستمرار في الزراعة، لكن بدون جدوى.

وبعد حدوث الانفصال بين سورية ومصر عام ١٩٦١ ووقوع الانقلاب على الانفصال، عمدت السلطات، التي أقرّت بوجهة نظر المؤسّسة بما يتعلّق بحقوق تملّك الزوجات والأولاد مستقلاً، إلى الاستيلاء في ربيع عام ١٩٦٣، على الأراضي الزائدة وتشكّل هذه الزيادة ٨٠٪ من ملكيّتهم التي تمّ نزع يد المؤسّسة عنها والاستيلاء عليها.

إنّ إيرادات ٢٠٪ الباقية تحت إدارة المؤسّسة لم تكن كافية لتأمين ما على المؤسّسة من الالتزامات للشركات والأفراد

وللمصارف، وتأمين معيشة أفرادها. وهذا ظلم سافر وتعدٍّ على حقوق وكرامة هذه العائلة بل المواطنين.

فاضطرّت المؤسّسة إلى بيع جميع عقاراتها الخارجة عن القانون لتسديد هذه الإلتزامات الخارجيّة، لتبرئة ذمتها من كلّ المستحقّات للغير.

وفي أواسط الثمانينات من القرن الماضي، صدر قانون بتقسيط الديون المترتّبة على المالكين للمصارف مقسّطة على ثلاث سنوات مع إلغاء الفوائد. حيث أنّ الديون كانت بالعملة السورية، فقد ساعد انخفاض العملة السورية عشرة أضعاف من قيمتها وارتفاع سعر شراء القمح عشرة أضعاف، ممّا ساهم في إمكانيّة تسديد هذه الديون القديمة المترتّبة علينا وتحرير ذمّتنا تجاه المصارف.

وهكذا تكون الشركة وجميع أفرادها قد برّأوا ذمّتهم، في سوريا، من كلّ دين أو التزام، دون الحصول على أي مساعدة من الدولة التي استولت على جميع مشاريعها مع تجهيزاتها التي تُقدَّر بعشرات ملايين الدولارات ومئات آلاف الهكتارات من الأراضي مع الآليات التي عليها، دون تعويض، خلافًا للقانون والحقّ.

الفصل الثامن

النهج السياسيّ للمؤسّسة

١. النهج السياسيّ الوطنيّ للمؤسّسة

منذ دخول أفراد العائلة إلى سورية، قوبلوا بكثير من الترحيب والتشجيع والمؤازرة من قبل السلطات المحلّيّة وسلطات الانتداب الفرنسيّ على حد سواء.

دامت هذه الحالة وخاصّة مع سلطات الانتداب الافرنسي لغاية توقيع معاهدة عام ١٩٣٦، القاضية بمنح الاستقلال لسوريا.

لقد كان في باريس آنذاك تيّاران معاكسان، منهم من كان مخلصًا في تنفيذ المعاهدة ومنهم من كان يريد العكس. لذا نشأ انقسام في خطة تنفيذ المعاهدة، وانعكس ذلك على تصرّفات بعض الموظّفين في جهاز الانتداب، حيث حاول بعضهم حض السكان من أصل كردي وبعض من المسيحيّين على طلب انفصال محافظة الجزيرة عن دمشق.

أما المؤسّسة وعلى رأسها **مسعود أصفر**، اختارت تأليف جبهة وطنيّة مؤلّفة من رؤساء العشائر العربيّة وبعض القبائل الكرديّة ويرأسها **حسن حاجو** وعدد كبير من المسيحيّين النازحين

من تركيا لمنع الإنفصال وبالالتحاق بالجبهة الوطنيّة في دمشق، ولغاية مغادرة آخر جندي أجنبيّ عن البلاد وذلك عام ١٩٤٦.

وعندما زار فخامة رئيس الجمهوريّة شكري القوتلي عام ١٩٤٦ "مدينة القامشلي، نزل ضيفًا في دار العائلة تقديرًا لمواقفهم الوطنيّة وتشجيعًا لجهودهم التنموية والإنتاجيّة والعمرانيّة، وعفا فخامته جميع الجنود والضباط السريان الذين غادروا مع الافرنسيّين عام ١٩٤٥، مع إعادتهم إلى الجيش السوري برتبهم ورواتبهم ودفع التعويضات لهم.

وفي الإنتخابات النيابيّة الأولى بعد الإستقلال عام ١٩٤٧، فرض على عائلة أصفر ونجار من قبل جميع القواعد الشعبيّة من كلّ الطوائف من قبل رؤساء ومخاتير العشائر الموجودة في قضاء القامشلي، لترشيح أحدهم لشغل المقعد المخصص للطائفة السريانيّة الأرثوذكسيّة في هذا القضاء.

فاختارتني المؤسّسة، رغم أنني العضو الأصغر فيها، لتقديم ترشيحي نظرًا لظروف عملي ومسؤولياتي وإمكانيّة التوفيق بين مهماتي، رغم أنّ كلّ عضو وخاصة رئيس العائلة المرحوم مسعود أصفر، كانوا مؤهلين لهذه المهمة بصورة كاملة.

وجرت الإنتخابات في تموز ١٩٤٧، وفزت بالنيابة فوزًا ساحقًا تجاوز ٨٠٪ من الناخبين.

سرتُ، منذ دخولي إلى الندوة النيابيّة في دمشق، على النهج

الذي سبق لعائلة أصفر ونجار، أن سلكته سابقاً، وانتسبت إلى الحزب الوطني مع رفاقي **الشيخ دهام الهادي، رئيس عشائر شمر، والشيخ عبد الرزاق الحسو.**

خلال مرحلة تمثيلي النيابة عن القامشلي، والتي كانت قصيرة بسبب الإنقلاب العسكري الذي قاده حسني الزعيم في ربيع عام ١٩٤٩، سعيت ونجحت في تخصيص مبالغ في الموازنة لأجل تنفيذ طرق المواصلات وإنشاء المستشفيات والمدارس وتخطيط وتنفيذ مشروع السدّ على نهر الخابور شمال الحسكة، لتوزيع الأراضي المروية على الفلاحين.

غير أنّ الحرب العربيّة الإسرائيليّة وقعت في ربيع عام ١٩٤٨، أدّت إلى تحويل هذه الإعتمادات إلى القوات المسلّحة السوريّة.

٢. عصر الإنقلابات العسكريّة في سورية

في ربيع عام ١٩٤٩، **قام اللواء حسني الزعيم بإنقلاب عسكريّ، أطاح برئيس الجمهوريّة شكري القوتلي**، وحلّ مجلس النواب وبعد مائة يوم أطيح بحسني الزعيم **وقتله مع رئيس وزرائه محسن البرازي**، من قبل حركة انقلابيّة عسكريّة أخرى التي لم تدم الأربعة أشهر، ليقوم **اللواء حناوي** بحركة تصحيحيّة لإعادة الحياة الديموقراطيّة إلى البلاد وذلك عام ١٩٥٠. وخلال فترة قصيرة تمّ الإعلان عن موعد للإنتخابات وبوشر الإستعداد والمشاورات على

خوضها. غير أنّ الحزب الوطنيّ، الذي أنتمي إليه، ولأسباب احتمالات الإنضمام إلى حلف بغداد فقرّر الحزب، في قيادته في دمشق، مقاطعة الإنتخابات. بناء عليه، قرّرت عائلة أصفر ونجار، الإلتزام بقرار الحزب، والمقاطعة رغم الضغوط التي تعرّضت لها من قبل قواعدها الشعبيّة.

ولكن بعد فترة قصيرة ، أطاح العقيد أديب الشيشكلي بالمجلس النيابي واستأثر بالسلطة منفردًا لغاية ربيع عام ١٩٥٤، حيث قامت حركة في حلب، وأذاع **العقيد مصطفى حمدون** بيان رقم (١) من إذاعة حلبٌ طالبًا من الشيشكلي مغادرة البلاد، على أساس عودة الحياة الديموقراطيّة. وكان لبعض الأصدقاء دور أساسيّ في انضمام اللواء محمود شوكت، قائد المنطقة الوسطى بحمص إلى الحركة الحلبيّة، فقرّر العقيد **أديب الشيشكلي** التنازل عن الحكم ومغادرة البلاد عن طريق لبنان إلى البرازيل.

فعادت الحياة الديموقراطيّة الحقيقيّة إلى سورية، وجرت إنتخابات حرّة مجدّدًا.

رغم أنّ عائلة أصفر ونجار لم تكن ترغب في خوضها، إلاّ أنّ القواعد الشعبيّة والطائفة السريانيّة في القامشلي ورؤساء ومخاتير العشائر ضغطت عليها لأجل ترشيح أحد أعضائها إلى الإنتخابات. فوقع الخيار علي مجدّدًا، فترشّحت **وفزت بثقة الناخبين للمرة الثانية.**

إنّ أوّل عمل قام به هذا المجلس، إعادة إنتخاب فخامة شكري القوتلي رئيسًا للجمهوريّة وذلك عام ١٩٥٤.

وساهمت في صدور قانون المجلس النيابي مادة تنصّ على منع تهجير الفلاّح من أرضه، وذلك عام ١٩٥٧.

لقد دامت دورة هذا المجلس أربع سنوات كاملة أي لغاية ١٩٥٨. واعتبرت هذه الدورة العصر الذهبيّ لسورية، حيث ازدهر الإقتصاد وساد الأمان، وارتفع النمو والإنتاج والإزدهار في البلاد.

وخلال هذه الدورة، تمكّنت من تخصيص مبالغ طائلة للمشاريع في محافظة الحسكة في ميزانيّات الدولة ومتابعة تنفيذها، حيث جرى إنشاء طرق المواصلات، والمستشفيّات والمدارس. وتمكّنت من تخصيص الأموال لتنفيذ مشروع إنشاء السدّ على نهر الخابور.

٣. الوحدة بين سورية ومصر

فرضت الوحدة مع مصر على الرئيس جمال عبد الناصر من قبل ثلاثة عشر ضابطًا من الجيش السوري الذين اختلفوا فيما بينهم وكادوا أن يقتتلوا. والرئيس عبد الناصر لم يكن متحمّسًا للقبول إلاّ بشرط أن يجلبوا السياسيّين وعلى رأسهم الرئيس القوتلي. وكانت سورية منذ القدم، في طليعة الدول العربيّة التي تصبو إلى الوحدة بين الدول العربيّة. فأذعن الرئيس القوتلي ومعه بعض السياسيّين، أمثال **الرئيس خالد العظم والرئيس صبري العسلي**،

الأستاذ **صلاح بيطار**، وذهبوا بطائرة واحدة إلى القاهرة وسلّموا سورية على طبق من الفضة إلى **الرئيس جمال عبد الناصر، الذي عيّن الرئيس صبري العسلي وأكرم الحوراني، نائبين للرئيس والرئيس شكري القوتلي أصبح المواطن العربيّ الأول وسُمّيت الجمهوريّة العربيّة المتحدة. وأصبحت سورية: الإقليم الشمالي ومصر الإقليم الجنوبي.**

دامت الوحدة ثلاث سنوات ونصف تقريبًا من ١٩٥٨/٢/٢٢ لغاية ١٩٦١/٩/٢٨، هلّل الشعب لها، وجهّز للرئيس عبد الناصر إستقبالات حاشدة في كلّ أرجاء الوطن.

أخطأ الرئيس عبد الناصر في إدارة الحكم في سورية، عندما ولّى على سورية الضبّاط الذين كانوا مرفوضين من الشعب السوري. ربّما عمد إلى ذلك لإخراجهم من الجيش ليستفرد به. وأخطأ أيضًا بإصداره قوانين غير مدروسة أمثال قانون الإصلاح الزراعي، وتأميم المصارف والشركات الصناعيّة.

قررت مؤسّسة أصفر ونجار اعتزال السياسة خلال فترة الوحدة.

٤. وقوع الإنفصال بين سورية ومصر

خلال فترة الوحدة، جرت إنتخابات نيابيّة شكليّة، في سوريا، وقع الإنفصال وأُعيدت الحياة الديموقراطيّة وقرّرت العائلة خوض الإنتخابات وذلك نزولاً عند الإرادة الشعبيّة، وتمّ ترشيحي

عن كرسي الطائفة السريانيّة الأرثوذكسيّة للمرة الثالثة، وفزت بغالبيّة الأصوات الناخبة. وذلك في تشرين أول من عام ١٩٦١.

إنتخب المجلس الجديد الأستاذ **ناظم القدسي رئيسًا للجمهوريّة والأستاذ معروف الدواليبي رئيسًا للوزراء. والأستاذ ليون زمريا، وزيرًا للخارجيّة.**

غلب على أعضاء المجلس المذكور الطابع اليمينيّ بنسبة ٧٥٪. وكذلك تأليف الحكومة التي قدّمت إلى المجلس مشروعَي قانون: **الأول بإلغاء قوانين تأميم الشركات، والثاني بتعديل قانون الإصلاح الزراعي لرفع الغبن، في بعض مواده،** أكثر مما كان يشكو منها الملاّك المشمولون بالقانون.

وفي تاريخ ٨ نيسان ١٩٦٢، أي بعد ستة أشهر من انتخابه، أطيح بهذا المجلس وسجن الرئيس ناظم القدسي، من ثمّ أعيد للحكم من دون مجلس النواب، ثمّ تعيين الرئيس بشير العظمة لرئاسة الحكومة واللواء أحمد عبد الكريم وزيرًا للإصلاح الزراعي.

فاعتزلت السياسة نهائيًّا.

في أيلول من عام ١٩٦٢، قامت حركة سلميّة وأعيد انعقاد مجلس النوّاب الذي انتخب المغفور له خالد العظم رئيسًا لمجلس الوزراء.

وفي ٨ آذار ١٩٦٣، أطاح حزب البعث العربي الإشتراكي، برئيس الجمهوريّة ناظم القوسي وبالرئيس خالد

العظم الذي لجأ إلى السفارة التركيّة، واستلم حزب البعث الاشتراكي السلطة في البلاد **وعيّن نور الدين الأتاسي رئيسًا للدولة** وصلاح بيطار رئيسًا للوزراء وأمين الحافظ وزيرًا للداخليّة.

وفي صيف تلك السنة قام جاسم علوان بحركة وحدويّة لإعادة الوحدة مع مصر. ولكنّها أفشلت من قبل وزير الداخليّة أمين الحافظ الذي استلم السلطة كاملة ومن تمّ تمّ تعيينه رئيسًا للدولة. وفي عام ١٩٦٥، عاد صلاح بيطار رئيسًا للوزراء.

وفي ربيع عام ١٩٦٦، غرّر بعض الموتورين بالمقدّم سليم حاطوم باعتقال اللواء أمين حافظ والأستاذ صلاح بيطار والاستيلاء على السلطة.

٥. نهاية عصر الانقلابات في سوريا

في تشرين الثاني من عام ١٩٧٠، قام **المغفور له اللواء حافظ الأسد** بحركة تصحيحيّة وأنهى بذلك عصر الانقلابات في سوريا. فأعاد الأمن والاستقرار إلى البلاد.

الفصل التاسع

قوانين الملكيّة في سورية

١. في قوانين الملكيّة بالأراضي الزراعيّة في سورية

إنّ الملكيّة في الأراضي الزراعيّة في سورية كانت ترتكز على قوانين صادرة في عهدي العثمانيّين والانتداب الفرنسيّ، أمثال القرار ١٨٦ ل.ر.، وكانت هذه القوانين تقضي بالاعتراف بالمساحات الموجودة داخل الحدود المذكورة في سندات التمليك وليس على المساحة المذكورة في السند.

كما أنّ التملك عن طريق الاستصلاح والاستثمار والتصرّف في الأراضي البائرة كان مسموحًا بدون حدود، بشرط التصرّف لمدّة لا تقلّ عن عشر سنوات وبشكل هادئ ودائم، بدون تحديد جنس المستثمر وعمره.

٢. قانون حماية أملاك الدولة

في عام ١٩٥٢ (**أيام العقيد أديب الشيشكلي**)، صدر مرسوم تشريعي حدد المساحة المسموحة بالتملّك في الأراضي والتصرّف للمالك ولكلّ واحدة من زوجاته وأولاده منفردًا

مساحة ٢٠٠ هكتار لكلّ واحد منهم، بدون تمييز بين ذكر وأنثى وتحديد عمر الأولاد وعددهم.

كذلك قضى المرسوم المذكور بخصوص الأراضي المملوكة بسندات تمليك سورية، تحديد الملكيّة بالمساحة المذكورة في سند التمليك، وفي حال زيادة المساحة بتطبيق الحدود يعتبر المالك متصرّفًا على المساحة الزائدة، ويطبّق عليه مبدأ التصرّف، ويعود الرصيد الباقي، في حال وجوده، إلى الدولة.

في عام ١٩٥٥، صدر قانون عن مجلس النواب أقرّ المرسوم الصادر عام ١٩٥٢، لكنّه رفع المساحة من ٢٠٠ هكتار إلى ٥٠٠ هكتار للمالك أو المتصرّف ولكلّ من زوجاته وأولاده وأحفاده وبدون تحديد عددهم.

٣. قانون الإصلاح الزراعيّ

حال قيام الوحدة بين مصر وسورية في ٢٢ شباط ١٩٥٨ **وولادة الجمهوريّة العربيّة المتّحدة،** هرع بعض الاشتراكيّين في سوريا، إلى إقناع الرئيس جمال عبد الناصر بضرورة تطبيق قانون الإصلاح الزراعيّ على سورية كما في مصر.

لكن الرئيس عبد الناصر لم يسايرهم فورًا، بل استمهلهم وأوفد وزير الإصلاح الزراعيّ حينذاك في مصر، **السيّد مرعي،** مع لجنة للتقصّي ودرس منافع إصدار هكذا تشريع في سورية.

رجعت اللجنة وقدّمت تقريرًا إلى الرئيس محذّرًا من إصدار

هكذا قانون في سورية الذي ستكون له آثار سلبيّة مضرّة بالاقتصاد القوميّ. وجاء في التقرير بأنّ بعض المشاريع، وأخصّ بالذكر مشروعنا المروي والبعلي، بأنّ الدولة تعجز عن تنفيذها وإدارتها، سوف تتعطّل في حال الاستيلاء عليها من الدولة، مما يسبّب ضررًا على الاقتصاد القومي للبلاد.

ولكن، وبعد انقلاب العراق، في ١٤ تموز ١٩٥٨، مارس بعض السياسيّين على الرئيس جمال عبد الناصر ضغطًا لإصدار قانون الإصلاح الزراعيّ في سورية، الذي صدر بتاريخ ٢٨ أيلول ١٩٥٨، تحت رقم ١٦١.

حدّد القانون المذكور سقفًا للملكيّة، ٣٠٠ هكتار، في الأراضي البعليّة، أو ٥٥ هكتارًا في الأراضي المرويّة بالراحة أو بواسطة محطّات الضخّ. كما سمح للمالكين بالتنازل لأزواجهم وأولادهم بمساحة لا تتجاور ٤٠٪ من حقّ الاحتفاظ، والاستيلاء على الزائد عن ذلك لقاء تعويض يدفع خلال أربعين عامًا.

إنّ القانون المذكور صدر لأسباب سياسيّة وليست إقتصاديّة ولا إجتماعيّة.

الفصل العاشر

في تطبيق قانون الإصلاح الزراعي على مؤسّسة أصفر ونجار إخوان

أفتى جميع المستشارين الحقوقيّين في سورية، بأنّ قانون الإصلاح الزراعيّ الصادر عام ١٩٥٨، لم يلغِ القوانين السابقة لصدوره، عليه يعتبر الزوجات والأولاد بمثابة ملاّكين مستقلين ويطبّق عليهم الحدّ الأقصى الذي حدّده القانون الجديد ويستولي على الرصيد.

استمر الخلاف على تفسير القانون بيننا وبين وزارة الإصلاح الزراعي لغاية شهر أيار من عام ١٩٦١ حيث قرّر **وزير الإصلاح الزراعيّ السيّد أحمد الحنيدي** تطبيق القانون على المؤسّسة حسب وجهة نظر الوزارة واستلام ما يزيد عن ذلك فورًا وبذلك توقيف جميع المشاريع والاستيلاء عليها مع المضخّات والآليات والمعدات التي عليها، بدون انتظار قرار القضاء بتفسير القانون.

أمام هذه الحالة المأسويّة المسدودة، قمت مع أخواني الكبار مسعود أصفر ومجيد نجار، بزيارة المشجع والداعم الأول ألا وهو المواطن العربي الأوّل المغفور له الرئيس شكري القوتلي. فما كان من فخامته إلاّ أن زوّدني بكتاب **إلى المشير عبد الحكيم**

عامر، بصفته نائبًا لرئيس الجمهوريّة والمسؤول المباشر عن الإقليم الشمالي (أي سورية).

حملت الكتاب إلى القاهرة وطلبت المقابلة مع سيادة المشير واستجيب الطلب سريعًا. جرت المقابلة بكلّ الاحترام والود والتكريم وأفاد بأنه ليس هدف القانون إغلاق بيوت ومؤسّسات وطنيّة، عربيّة، ومن ثمّ أعطى التعليمات إلى وزير الإصلاح الزراعي، بوجوب اعتراف الحقوق الثابتة في القوانين وتطبيق العدالة وبالتالي الاعتراف بحقوق الملكيّة المستقلّة للزوجات والأولاد جميعًا.

وفي ١٩٦١/٩/٢٨ وقع الانفصال بين مصر وسورية. جرت انتخابات وتشكيل مجلس للنواب، وجرى تعديل القانون ورفع الالتباس في تفسيره والغبن اللاحق بالملكيّة وذلك بمشروع من الحكومة التي كان يرأسها **الشيخ معروف الدواليبي**.

وفي ١٩٦٢/٣/٢٩ وقع انقلاب أطاح بالمجلس وتألّفت حكومة من قبل بشير العظمة وفيها العقيد أحمد عبد الكريم وزيرًا للإصلاح الزراعي والذي أرسل كتابًا إلى فرع الحسكة بوجوب قبول تفسيرنا للقانون.

في مطلع أيلول من عام ١٩٦٢، وبحركة سلميّة أُعيد انعقاد مجلس النوّاب وانتخاب دولة خالد العظم رئيسًا للوزراء وعيّن العميد أمين النفوري وزيرًا للإصلاح الزراعي.

زار وزير الإصلاح الزراعيّ العميد أمين النفوري، في كانون الثاني من عام ١٩٦٣، قصر أصفر ونجار إخوان برأس العين، وكرّس الاتفاق الذي جرى بيننا وبين فرع الإصلاح الزراعيّ في الحسكة وكان يقضي على ما يلي:

١. تعترف الدولة بحقوق كاملة بالمكعبة في الأراضي الزراعيّة للزوجات والأولاد، أسوة بأفراد مؤسّسة أصفر ونجار إخوان.

ونتيجة لذلك تحتفظ المؤسّسة كامل الأراضي الزراعيّة في منطقة القامشلي، وكامل مشروع الريّ ومنشآته والأراضي الزراعيّة التابعة له، في منطقة رأس العين ومركز مبروكة الزراعيّ والأراضي المحيطة به وتقدّر هذه المساحات من الأراضي الزراعيّة حوالي /١٣٠،٠٠٠/ دونمًا ما يعادل ١٧٪ من مجموع ملكيّة أصفر ونجّار إخوان الزراعيّة.

٢. تتخلّى مؤسّسة أصفر ونجار إلى الدولة، باقي الأراضي الزراعيّة الفائضة من ملكيّتها والبالغة حوالي /٦٥٠،٠٠٠/ دونمًا ما يعادل ٨٣ ٪ من ملكيّتها الزراعيّة بشرط توزيع هذه الأراضي المستصلحة من قبلنا على قائمة من عائلات سريانيّة والطوائف الأخرى، وكذلك على أفراد من عشيرة العنيزة العربيّة المجاورة وتحضيرهم ليتعايشوا مع بعضهم البعض.

وقد نفّذ البند الثاني فور الزيارة وتمّ توزيع الأراضي الزراعيّة جزئيًّا. وتأجير الباقي للشركة الليبيّة.

وفي أعقاب الانقلاب العسكري في ٨ آذار من عام ١٩٦٣، أي بعد شهر من الاتفاق واستلام حزب البعث العربي الاشتراكي السلطة وتعيين الأستاذ صلاح البيطار رئيسًا للوزارة، وأوقف تنفيذ البند الأوّل من الاتفاق والمتعلّق بحقوقنا، متأثّرًا بدسائس عن المؤسّسة، من قِبَل بعض الحاقدين، خلال زيارته لفرع حزب البعث في القامشلي عام ١٩٥٥.

وفي ربيع من عام ١٩٦٥، قام الأستاذ صلاح البيطار الذي كان قد استقال من السلطة، بزيارة استكشافيّة للمنطقة الشماليّة والشرقيّة لسوريا، بدءاً من حلب. وعند وصوله إلى منطقة رأس العين ومركز مبروكة، ومشروع الري والمنشآت التابعة له والأقنية المطليّة بالإسمنت، صرّح قائلاً: كم أنا جاهل ببلادي. فزار أخي المرحوم يعقوب في بيته في عين الزرقاء وقدّم له اعتذاره وأسفه لمواقفه السابقة.

وعند عودته إلى دمشق، طلب الاجتماع معي، مبديًا اعتذاره وأسفه، ووعد استعداده إصلاح ما حصل في حال عاد يومًا للحكم، لأنّه بعد مشاهدته أعمالنا ومشاريعنا، يعتبرها ذات النفع العام ويزيد فرص العمل لليد العاملة والدخل القوميّ للبلاد، وعليه يجب مساعدتها وتشجيعها لاستمرارها.

وفي خريف تلك السنة (١٩٦٥) عاد رئيسًا للوزارة ثانية، ودعاني إلى رئاسة الوزارة مذكّرًا بوعده واستعداده لتنفيذه.

وفي آذار من عام ١٩٦٦، غرّر بعض الحاقدين، بالمقدّم سليم حاطوم بإطاحة رئيس الدولة أمين الحافظ، ورئيس وزرائه الأستاذ صلاح البيطار، وزجّهما في السجن، والاستيلاء على السلطة.

ألغت السلطات الجديدة كلّ الترتيبات الجارية سابقًا، واستولت، عام ١٩٦٩ فعليًّا على المشروع بالكامل والمبروكة وحرمت أفراد المؤسّسة حتى من حقوقهم المنصوص عنها في قانون الإصلاح الزراعي، ولم تترك لهم شبرًا من الأراضي.

الفصل الحادي عشر

حرمان المؤسّسة من أملاكها وإقفالها

١. حرمان العائلة من كامل أملاكها الزراعيّة

بقرار من السلطات، ومن خلال عمليّة شيطانيّة، تمكّن وزير الإصلاح الزراعي الأستاذ فاز الجاسم، في نهاية عام ١٩٦٩، من حرمان، جميع أفراد مؤسّسة أصفر ونجار إخوان، كبارًا وصغارًا من حقوق الإحتفاظ من حقّهم الأدنى المنصوص في قانون الإصلاح الزراعيّ.

وتزامنًا، أعطيت التعليمات بنـــزع يدهم عن كامل الأراضي التي يملكونها والآليات والمعدات ومشروع الري بكامل أراضيه ومعداته ومساكن إقامتهم في رأس العين ومبروكة.

وكان قد سبق ذلك أن استولت الدولة ونزعت يدهم عن كامل أملاكهم الزراعيّة في منطقة القامشلي، عام ١٩٦٧.

٢. الحجز على موجودات أفراد المؤسّسة

تزامنًا مع تجريد أفراد المؤسّسة من كامل أملاكهم الزراعيّة، قام المصرف التجاري السوري الحكومي، وريث المصارف المؤمّمة، أن يحجز على بيوت أفرادها باعتبارها شركة تضامنيّة، تحصيلاً لديون كان يتوجب على الدولة أن تحلّ محلهم بها، حسب القانون الساري المفعول به لليوم.

٣. إغلاق المؤسّسة وبيوت أفرادها

أمام هذه الحالة المأساويّة، وحفاظًا على كرامة أفرادها، قرّرت المؤسّسة إغلاقها موقتًا وإقفال منازلهم والنــزوح إلى لبنان.

٤. مصير شباب الجيل الثاني للعائلة

كان أعضاء مؤسّسة أصفر ونجار قد اعتبروا محافظة الحسكة (سوريا) وطنًا نهائيًّا، لهم ولأجيالهم الصاعدة. وكانوا يخطّطون لانخراط شباب الجيل الثاني في أعمال المسيرة وتطويرها زراعيًّا وصناعيًّا.

وفي سبيل ذلك أرسلوا الشباب إلى المدارس والجامعات المحلّيّة والخارجيّة لاغتراف العلم والمعرفة والعودة لتطبيقها على الأرض وخلق فرص عمل لليد العاملة المحلّيّة.

وسبق أن ذكرت التحاق إدوار النجل الأكبر للمرحوم الأخ مسعود أصفر، وفؤاد ابن المرحوم شقيقي المرحوم لطفي نجار، وبسيم ابن الشقيقة المرحومة سميرة نجار /بلدو.

ولكن الضربة القاضية التي تلقّوها من قبل السلطات عام ١٩٦٩، كانت قاسية جدًّا، فأطاحت بكلّ أحلام المستقبل، وألقت الوطن النهائيّ، وأربكت الجميع، وغيرت اتجاه البوصلة، وشرّدت الشبــاب بحثًا عن وطن بديل.

الفصل الثاني عشر

الحركة التصحيحيّة

١. الحركة التصحيحيّة للرئيس حافظ الأسد

عندما وقعت البلاد أمام الأفق المسدود، وبلغ الإستبداد حدًّا غير مقبول، قام المغفور له **الرئيس حافظ الأسد، بحركة تصحيحيّة في تشرين من عام ١٩٧٠**، فأطاح بمغتصبي السلطة والذين كادوا أن يأخذوا البلاد إلى الهاوية. وزجّهم في السجن جميعًا واستلم القيادة في البلاد باسم حزب البعث العربي الاشتراكيّ. فأعاد الإستقرار والأمن للبلاد وأنهى مرحلة الإنقلابات التي دامت /٢١/ عامًا من ١٩٤٩ لغاية ١٩٧٠.

٢. إعادة بعض الحقوق القانونيّة للعائلة

وفي أعقاب هذه الحركة المباركة، أُعيد النّظر بالظلم الواقع على أفراد المؤسّسة، خلافًا لكلّ القوانين، فأعيد إليهم، أي لأفراد المؤسّسة فقط، حقّهم في الحيازة، حسب القانون، ولكن دون الإعتراف بحقوق الزوجات والأولاد، وعلى شرط أن تكون هذه الأراضي المعادة، من نوع الأراضي البعليّة، وبعيدة عن مشروع الري وعن مدينة مبروكة وبيوت إقامتهم فيها وفي عين الزرقاء.

إنّ الأراضي المعادة لجميع أفراد مؤسّسة أصفر ونجار والمذكورة أعلاه، ومساحتها لا تتجاوز /٢٣٠٠٠/ دونم ما يوزاي ٣٪ من مساحة الأراضي المملوكة ولا يساوي ١٪ من الأراضي من حيث الإنتاج. والأراضي المعادة بعليّة لا تزرع إلاّ نصفها سنويًّا بالقمح أو الشعير، ومعرَّضة للجفاف كلّ سنتين، ولا يوجد عليها مسكن.

إنّ الجرعة الإنعاشيّة التي قدّمت للمؤسّسة كانت هزيلة وغير كافية لإنقاذها واستمرارها.

من المؤسف أن يتحول المشروع إلى أرض قاحلة وخراب.

٣. حقيقة شائعة إعادة الأراضي للمؤسّسة

سرت شائعة في الجزيرة وحلب، في أعقاب إعادة أفراد المؤسّسة الحدّ الأدنى القانوني من حقّ الإحتفاظ، حسب نص قانون الإصلاح الزراعيّ وحسب تفسير وزارة الإصلاح الزراعي حصرًا، بأنّه قد تمّ إعادة جميع الأراضي والأملاك الزراعيّة إلى أصفر ونجار، بما فيه مشروع الري.

والحقيقة هي أنّ ما أُعيد ما هو المبين في البند /٢/ أعلاه، ولا يتجاوز شبرًا واحدًا.

بينما استمر نزع اليد عن باقي الأراضي بما فيه مبروكة وكامل مشروع الري مع منـــزل إقامتهم في عين الزرقاء برأس العين، فقد تمّ تحديد احتفاظهم في منطقة بعليّة بعيدًا عن مبروكة.

الفصل الثالث عشر

حلّ مؤسّسة أصفر ونجار إخوان نهائيًّا

١. حلّ مؤسّسة أصفر ونجار إخوان الزراعيّة

إنّ إعادة بعض الأراضي لأفراد المؤسّسة، دون الإعتراف بحقوق الزوجات والأولاد، وتحديد هذه الإعادة، حصرًا، في منطقة بعلية، والإستيلاء على كامل مشروع الري مع مساكن إقامتهم فيها، والإستيلاء على مركز مبروكة ومسكن إقامتهم فيه أدّى إلى إستحالة إستمرار المؤسّسة في عملها الإنتاجي. وأصبح ذلك أمر حلّ المؤسّسة محتومًا.

وأصبحت سوريا وطنًا سرابًا بدلاً من أن تكون وطنًا نهائيًّا وتوزّع الأخوان بحثًا عن وطن بديل لهم لأجيالهم الصاعدة.

سامحهم الله.

٢. دفع التعويض عن الأراضي المستولى عليها

ينصّ قانون الإصلاح الزراعيّ صراحة بمادّة خاصة بوجوب الدولة دفع تعويضات عن الأراضي والآليات والمنشآت المستولى عليها، وذلك خلال أربعين سنة وبفائدة سنوية ١،٥٪. وقد مضى

على الإستيلاء خمسون عامًا ولم يجرِ أي تقدير لهذه التعويضات تمهيدًا لدفعها.

قد جرت حركة، منذ بضع سنوات، في فرع الحسكة وتأليف لجان تخمين العقارات المستولى عليها من قبل المالكين.

ولكن سرعان ما توقّفت هذه الحركة.

٣. إدارة الموجودات والأراضي المعادة

قرّر أعضاء المؤسّسة، بعد حلّها، تكليف الأستاذ **المحامي أنطون قس جبرائيل**، وكيلاً قانونيًّا **والسيّد جوزف كاسبار (الذي كان يعمل لديهم منذ الخمسينات في فرع حلب)** وكيلاً عنهم لإدارة مستودعات ومعامل قشر الأرز بحلب. وتمّ توكيل السيّد **قسطنطين يونان** (وكان محاسبًا بفرع رأس العين منذ الخمسينات).

وتمّ تأجير كلّ أراضي الاحتفاظ المعادة ومساحتها /٢٣٠٠٠/ دونم إلى السيّد **جان اسمريان**، المشهود بنـــزاهته وأمانته وخبرته في الزراعة حيث كان يعمل معهم سابقًا أيضًا.

الخاتمة

هذه نهاية مأسويّة لمؤسّسة عائليّة خدمت الخير العام والمجتمع الذي عاشت في كنفه، وأفادت الاقتصاد القومي في البلاد.

إنّ المؤسّسة كانت ضحيّة مؤامرة من قبل بعض الحاقدين في فرع حزب البعث (في الحسكة) مستندًا إلى اجتهاد مخالف للقانون من قِبل أحد الموظفين في فرع الإصلاح ونفّذها وزير الإصلاح الزراعي (بدمشق) دون تقدير مدى نتائجها السلبيّة وخاصّة على الطبقة العاملة.

لأسباب ذكرها سابقًا، حلّت الشركة نفسها تحت ضغط وإرادة سلطويّة وأُغلقت مكاتبها وفروعها في القامشلي، وعين الزرقاء ومبروكة وحلب ودمشق، وسرّحت جميع العاملين فيها وصرفت العمّال الدائمين والموسميّين في مشاريعها الزراعيّة، بعد دفع جميع حقوقهم وتعويضاتهم القانونيّة، وكذلك برأت ذمّتها وذمة أفرادها من أيّ حق أو إلتزام.

إنّ عمليّة إنهاء خدمات عدد كبير من المواطنين وقطع رزق عائلاتهم وتشريدهم لأسباب خارجة عن إرادتنا، ولكنّها تجرح ضمير كلّ شخص حيّ.

وبهذه المناسبة، لا بد لي أن أروي للقارىء الكريم، خلال حديث جرى بيني وبين **الأستاذ خالد بكداش** (عام ١٩٥٦)، رئيس الحزب الشيوعيّ في سوريا، ونائب دمشق، وأفادني بأنّ فرع الحزب في القامشلي أعلمه، بأنّهم في الحزب يعتبرون حصول أي شخص على وظيفة عمل لدى مؤسّسة أصفر ونجار إخوان، محظوظًا وأنّه حصل على بوليصة ضمانة مدى الحياة ولأفراد عائلته.

وهذا اعتراف صريح من قبل رئيس حزب من أقصى اليسار بمنافع وضرورة وجود مؤسّسة أصفر ونجار إخوان للطبقة العاملة والمجتمع.

يجوز للبعض أن يقول: بأنّ مؤسّسة أصفر ونجار كانت تعمل لجني الأرباح.

هذا صحيح،

ولكن هناك فرق كبير بين من يعمل للربح ويسبّب الضرر للغير (أمثال المنتجين للمخدّرات والمتاجرين بها) ومن يعمل للربح لنفسه فقط، ومن يعمل ليفيد نفسه والآخرين.

المثل الافرنسي يقول: "إنّ الإحسان المنظّم جيّدًا يبدأ بالذات" (La charité bien ordonnée, commence par soi-même).

إنّ مؤسّسة أصفر ونجّار إخوان كانت من الصنف الأخير، بشهادة جميع المخلصين للوطن، لأنّهم أشركوا العمّال في الأرباح، وملّكوهم وسائل الإنتاج ودرّبوهم على التسيير الذاتي.

اتّهمنا السيّد مصطفى حمدون، أوّل وزير الإصلاح الزراعيّ، عام ١٩٥٨ بأنّنا بعملنا هذا كنّا نزيد الطبقة البورجوازيّة في البلاد. فجاوبته بأنّنا عملنا هذا لخير الناس ونفتخر به، أمّا أنتم تعملون لإفقار الناس لتسيطروا على البلاد.

إنّ أصفر ونجّار إخوان عملوا في الزراعة فقط، وهي أشرف مهنة، لأنّهم تعاملوا مع الأرض والطبيعة وربّ العالمين. استصلحوا الأراضي البائرة وبنوا المؤسّسات الإنتاجيّة، وخلقوا فرص عمل لعشرات الآلاف من المواطنين.

هذه هي أسطورة مؤسّسة أصفر ونجّار إخوان الزراعيّة التي دامت نصف قرن، من عام ١٩٢٢ لغاية ١٩٧٠.

لقد تضمّنت كلّ نواحي نشاطها العمراني والانتاجيّ والاجتماعيّ والثقافيّ والسياسيّ.

إنّ نجاح هذه المؤسّسة العائليّة واستمرارها يعود بالدرجة الأولى إلى المحبّة والتضامن والإخلاص التي كانوا يكنّونها بعضهم البعض بالإضافة إلى الشجاعة والإقدام والتصميم مقرونة بقيادة حكيمة والانضباط والالتزام والاحترام المتبادل والتماسك.

نعم، إنّ أفراد المؤسّسة أخطأوا نحو أنفسهم وهم لم يأخذوا الاحتياطات اللازمة لمستقبلهم ومستقبل أولادهم. إنّهم من البشر وجلّ من لا يخطئ. ولكنّهم من الأكيد بأنّهم لم يخطئوا بحقّ الغير.

آمن الأخوان أصفر ونجار، منذ أن وصلوا القامشلي بأنّ سوريا هي وطنهم النهائيّ، لهم ولأولادهم. ولهذا صمّموا وخطّطوا ونفّذوا نواة مدينة نموذجيّة (مبروكة) بأبنية من الإسمنت المسلّح، ونفّذوا مشروعًا كبيرًا للري بسواقي عشرات الكيلومترات، من الإسمنت أيضًا.

وأرسلوا أولادهم إلى المدارس والجامعات السوريّة والأجنبيّة، للتزوّد بالعلم والمعرفة الحديثة. لضمّهم إلى المسيرة ومتابعتها.

فقد تمّ فعلاً انضمام إدوار النجل الأكبر للأخ المرحوم مسعود أصفر، إلى فرع حلب لمساعدة والده وعمّه لطفي وذلك منذ عام ١٩٥٤. وفي عام ١٩٦١، التحق فؤاد ابن المرحوم لطفي نجار وبسيم ابن المرحومة الشقيقة سميرة نجار بلدو، لمساعدة عمّهم يعقوب في رأس العين.

وبهذه المناسبة، لا بدّ من الاعتراف بأنّ استمرار المؤسّسة على هذا النهج العمرانيّ والإنمائيّ كان بسبب استمرار تلقّيهم الدعم والتأييد والتشجيع من قبل كبار المسؤولين في السلطة، منذ الاستقلال عام ١٩٤٥، بدءا من المغفور له فخامة الرئيس شكري

القواتلي، وناظم القدسي، انتهاء من قبل آخر رئيس الوزراء، المرحوم الأستاذ صلاح البيطار عام ١٩٦٥.

إنّ لاعضاء هذه العائلة الفخر بأنّهم إذ تمكّنوا من تأسيس أكبر شركة زراعيّة في الشرق العربيّ بمالهم وجدّهم ونشاطهم وعرق جبينهم وتضحياتهم الكبرى، لم يمتلكوا دونمًا واحدًا بواسطة النفوذ أو السيطرة أو تهجير الفلاح.

كما إنّ ذمّتهم بريئة كاملة من كلّ حقوق لأيّ جهة كانت شخصيّة أو رسميّة أو مصرفيّة.

إنّ أعضاء عائلة أصفر ونجّار إخوان مع اعتزازهم بانتمائهم للطائفة السريانيّة الكريمة، كانوا يحترمون أبناء الطوائف والمذاهب والقوميّات الأخرى، ويعاملونهم بالتساوي.

إنّ النهاية المأساويّة التي وصلت إليها مؤسّسة أصفر ونجار إخوان لا يجب اعتبارها نهاية طبيعيّة بل بالعكس هي حالة استثنائيّة.

عندما أتيحت لنا الفرصة والإمكانيّات مجدّدًا وذلك في مطلع الثمانينات من القرن الماضي، كنّا أنا المتجاوز الستين عامًا من عمري حين ذاك، وشقيقي المرحوم يعقوب نجار المقارب السبعين، فقد تمكّنا معًا بفضل الاتحاد والتضامن والإخلاص فيما بيننا،

والخبرة التي لدينا، من تنفيذ أكبر مشروع زراعيّ للريّ، حديث خاص في المملكة العربيّة السعوديّة.

(سيجد القارئ تفصيلاً عن هذا المشروع في نهاية هذا الكتاب).

إن الهدف من نشر هذه الوقائع والحقائق هو تشجيع الأجيال الصاعدة سواء من أفراد المؤسّسة أو الشباب السريانيّ أو سواه في الوطن والمهجر، وليأخذوا العبر والدروس من هذه التجربة.

وفي هذه المناسبة، لا بدّ لي من إرسال التحية والشكر إلى كلّ الذين تعرّفت إليهم المؤسّسة أو تعاونت معهم، خلال مسيرة أربعين عامًا، في محافظة الحسكة (الجزيرة) ومدينة حلب والعاصمة دمشق.

إنّني إذ أختم هذا الكتاب، أتقدّم بالتحية إلى الشعب العربيِّ السوريّ الشجاع والمقدام، وأتمنّى له التقدّم والازدهار ومستقبلاً مشرقًا.

سيرة حياة أفراد مؤسسة أصفر ونجار إخوان

هذه هي سيرة حياة جميع أفراد **مؤسّسة أصفر ونجار إخوان**، والمؤسّسين الأساسيّين، ونشاط كلّ عضو وصفاته وأخلاقه من الولادة لغاية الوفاة.

١. المرحوم سعيد أسيا نجار

ولد سعيد في ديار بكر عام ١٨٦٥، من عائلة وجهاء الطائفة السريانيّة، وكان والده يعمل في تجارة الأخشاب وعنده مستودع كبير لهذه الغاية. التحق بالمدرسة الإبتدائية ومن ثم ساعد والده في التجارة، وقرّر السفر إلى بلاد الحريّة إلى الولايات المتّحدة الأميركيّة، وذلك عام ١٨٩٧، إلى نيو جرسي، حيث ساهم في **تأسيس جمعيّة الترقّي للمدارس السريانيّة**. ثمّ عاد ليأخذ والديه عام ١٩٠٠، مارًّا بباريس لمشاهدة المعرض الدوليّ والقدس الشريف لأخذ البركة.

والده العجوز استصعب مشقّات السفر ونصحه بالزواج من مريم رضوانلي، التي كان يرغب بالزواج منها قبل سفره، والتي أصبحت أرملة بعيد زواجها من ايرموش أصفر، تاركًا طفلاً اسمه مسعود ايرموش أصفر. ووافق والدي سعيد على الزواج. وأنجبت له مريم: **خمسة ذكور وأنثى واحدة، وهم: عبد المجيد عام ١٩٠٣**،



المرحوم سعيد أسيا نجار (الوالد)

لطفي عام ١٩٠٥، شكري عام ١٩١٠، يعقوب عام ١٩١٣، الياس عام ١٩٢١، وسميرة عام ١٩٠٨.

اهتمّ المرحوم سعيد على رعاية وتربية كلّ أولاده، وخاصة الطفل مسعود تربية صالحة، وساعده على متابعة علومه العالية إلى درجة دار المعلّمين. أعطى الوالد للمرحوم مسعود أصفر، نفوذاً على أولاده الآخرين، ليتفرّغ إلى تأمين حاجات العائلة في تلك الظروف القاسية، وخاصّة خلال الحرب العالميّة الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨).

نسج الوالد علاقات خاصّة مع بعض المسؤولين لحماية عائلته من مذابح عام ١٩١٥ الشهيرة، التي راح ضحيّتها مئات الألوف من المسيحيّين والعرب ومن بينهم شقيقه نعوم.

بعد زوال حكم العثمانيّين، ساهم مع أولاده مسعود ومجيد ولطفي في تأسيس نواة المؤسّسة العائليّة، وكان الوالد الأب الروحي لها والداعم ماديًّا ومعنويًّا.

كان الوالد ذا أخلاق عالية من الصدق والصراحة والإستقامة، وشجاعة مع طيبة قلب.

توفي في زحلة عام ١٩٤٤، وأُقيم له جناز كبير، ودُفن في مدافن طائفة الروم الكاثوليك، وشيّد له فيها مقبرة خاصّة أصبحت مقبرة العائلة.

رحمه الله وأسكنه في رحاب جنانه.

٢. المرحوم مسعود ايرموش أصفر

ولد أخي مسعود عام ١٨٩٥، في ديار بكر. والدته مريم رضوانلي، من وجهاء العائلات السريانيّة فيها، ووالده ايرموش أصفر كذلك من العائلات السريانيّة المرموقة

قُتل والده ايرموش غدرًا بُعيد ولادته، وأمضى طفولته مع والدته وأهلها، لغاية زواجها من سعيد نجار عام ١٩٠١.

تبنّى سعيد نجار الطفل مسعود أصفر واهتمّ في رعايته وقام بتربيته وأرسله إلى المدارس لغاية حصوله شهادة من دار المعلّمين وأصبح أستاذاً.

عيّن المرحوم مسعود مديرًا للمدارس السريانيّة في ديار بكر، فأدارها بجدارة، وربّى جيلاً من الشباب السريانيّ.

كان المرحوم مسعود المحرّك والقائد الأساسيّ في تأسيس المؤسّسة العائليّة: أصفر ونجار، في ديار بكر عام ١٩٢٢. والدماغ المخطّط لها، وخاصّة خلال نزوح العائلة بكاملها إلى القامشلي بدءا من عام ١٩٢٨ لغاية ١٩٣٢.

استمرّ في قيادة المؤسّسة بحكمة وإدارتها سواء في القامشلي أو حلب.

عند تأسيس شركة أصفر ونجار إخوان رسميًّا، أصبح رئيسًا لمجلس إدارتها مدى الحياة.



المرحوم مسعود ايرموش أصفر

وعندما قرّر مجلس الإدارة فتح فرع حلب، انتقل مع عائلته إليها وذلك عام ١٩٤٥، وأدار الفرع بكلّ نشاط وحكمة. وعند قرار الشركة حلّ نفسها عام ١٩٧٠، لأسباب مذكورة في مكان آخر من هذا الكتاب، انتقل إلى بيروت.

تزوّج عام ١٩٢٦ من المرحومة زهرة، كريمة المرحوم حنا جرموكلي من وجهاء الطائفة السريانيّة، وأنجبت له ثلاثة ذكور وأنثى واحدة، وهم إدوار، منير، عدنان ووداد.

وكان المرحوم حكيمًا، جريئًا، مستقيمًا، صادقًا وذا أخلاق عالية.

توفي عام ١٩٧٤ في بيروت، ودُفن في مدافن العائلة بزحلة.

رحمه الله وأسكنه في جواره.

٣. المرحوم عبد مجيد سعيد نجار

ولد شقيقي مجيد في ديار بكر عام ١٩٠٣. بدأ نشاطه باكرًا قبل بلوغه سنّ الخامسة عشرة، وبعد التحاقه بمدرسة الطائفة. خدم الخدمة العسكريّة الإجباريّة في الجيش التركي، أيام مصطفى كمال. ساهم مع والدي وشقيقيَّ مسعود ولطفي في تأسيس نواة المؤسّسة العائليّة عام ١٩٢٢، وكان له علاقات واسعة مع مربّي دودة القزّ في القرى الجبليّة حيث توجد أشجار التوت التي تقتات دودة القز من أوراقها طوال حياتها التي لا تتجاوز الثلاثة أشهر.



المرحوم عبد المجيد سعيد نجار

كان المرحوم عبد المجيد العامود الفقري لنواة المؤسّسة العائليّة: **أصفر ونجار إخوان.**

سافر إلى بورصة حيث يتمّ توليد بذور دودة القزّ، وتعلّم الصنعة وعاد ليطبّقها محليًّا في إحدى غرف بيت المرحوم حنا جرموكلي، مستعينًا أحيانًا بمؤازرة شقيقه لطفي، والمرحوم فتح الله جرموكلي. فنجحت العمليّة ١٠٠٪، وصار مشهورًا في ديار بكر وطلب منه رسميًّا إلقاء المحاضرات في مجال تربية دودة القزّ وإنتاج الحرير وغزله ونسجه.

عندما قرّرت المؤسّسة النـــزوح تدريجيًّا إلى سورية (القامشلي)، التقى عام ١٩٣٠ بالأشقاء لطفي وشكري، وباشر نشاطه في مجال زراعة الأرز على نهر الجغجغ، وشراء أرض البستان والمطحنة وحقوق المياه لإقامة مقشرة للأرز بجانبه تُدار بقوّة الماء.

وبعد التحاق الأخ الكبير مسعود وأسرته عام ١٩٣٢ واكتمال العائلة، باشرا معًا في التوسّع الزراعيّ وامتلاك الأراضي. وعند تأسيس شركة أصفر ونجار إخوان، انتُخِب بالإجماع نائبًا للرئيس مدى الحياة.

وبعد انتقال الأخ مسعود إلى حلب عام ١٩٤٥، أصبح شقيقي مجيد مديرًا لفرع القامشلي لغاية حلّ الشركة عام ١٩٧٠.

نزح إلى بيروت عام ١٩٧٠ وأسّس مصنعًا للألمينيوم، مع نجله طوني، غير أنّ الحرب الأهلية اللبنانيّة أعاقت إكماله.

تزوّج عام ١٩٣٦ من جميلة عبد الأحد بلدو (**شقيقة صهره جبرائيل بلدو**)، ورُزق منها ذكرين وثلاث إناث: طوني، المرحوم فوزي، ماري روز، سهام والمرحومة نهى.

بأسىً عميق فقد في حياته اثنين من أولاده في عمر الورد، وهما المرحوم فوزي عام ١٩٦٠، والمرحومة نهى عام ١٩٨٩.

زارنا في السعودية عدّة مرّات بين عامي ١٩٨٣ و١٩٨٨، وكان يرتاح جدًّا عندنا، ونستفيد من توجيهاته وإرشاداته.

كان المرحوم شجاعًا، مقدامًا، كريمًا، حكيمًا، مخلصًا، صادقًا وطيّب القلب.

توفي عام ١٩٩١ في بيروت، ودُفن في مقابر العائلة في زحلة.

رحمه الله، وأسكنه في جنانه.

٤. لطفي بن سعيد نجار

وُلد شقيقي المرحوم لطفي في ديار بكر عام ١٩٠٥. وبعد بلوغه سن الرشد أصبح مساعدًا لأخويه مسعود ومجيد.

نزح إلى حلب ومن ثمّ إلى القامشلي مستكشفًا المنطقة، وأرسل بطلب حضور شقيقه مجيد لإكمال المسيرة التي بدأ فيها. استمرّ في مساعدة شقيقي مجيد في عمله لغاية عام ١٩٤٣، حين انتقل إلى رأس العين لمؤازرة شقيقي يعقوب. ثمّ انتقل وعائلته إلى



المرحوم لطفي سعيد نجار

حلب لمؤازرة أخي مسعود أصفر في إدارة مصنع تجفيف وقشر وتبييض الأرز، وفي إدارة أسطول النقل البريّ للمؤسّسة.

تزوّج عام ١٩٤٠ من كيتا كرو، من وجهاء العائلات السريانيّة في دير الزور، وأنجبت له ثلاثة ذكور وأنثيين، وهم: فؤاد، نبيل، المرحوم غسان، ناديا، والمرحومة نجاة.

بأسىً عميق توفّي غسان بحادث سير في لندن عام ١٩٩٨، ونجاة عام ٢٠٠٨، وهما في عمر الشباب. رحمهما الله، وأسكنهما في جنانه.

كان شقيقي لطفي شجاعًا، جسورًا، حكيمًا، صادقًا ومستقيمًا.

عند حلّ الشركة عام ١٩٧٠، نزح إلى لبنان مع عائلته وأقام في بيت مري.

توفي عام ١٩٧٤ عن عمر التاسعة والستين، ودُفن في مدافن العائلة بزحلة.

رحمه الله، وأسكنه في جنانه.

٥. المرحوم شكري سعيد نجار

وُلد شقيقي المرحوم شكري نجار في ديار بكر عام ١٩١٠. درس في مدارس الطائفة، ورافق شقيقه لطفي إلى حلب ثمّ إلى القامشلي عام ١٩٢٩. كان مسؤولاً عن إدارة أوّل مصنع لقشر الأرز، وكان مساعدًا لإخوانه في التوسّع الزراعي ومزارع الأرز



المرحوم شكري سعيد نجار

وعن الفرق الزراعيّة التعاونية في منطقة القامشلي. وكان عضواً فعالاً في شركة أصفر ونجار إخوان للزراعة المؤسّسة عام ١٩٤١.

غادر مع عائلته القامشلي عام ١٩٧٠ بعد حلّ الشركة، واستقرّ في زحلة، وأنشأ مدجنة لتربية الدواجن بالطرق الحديثة.

تزوّج عام ١٩٤٤ من نبيهة بنت جرجس السيع، من وجهاء عائلات الروم الأرثوذكس في زحلة. وأنجبت له ذكرًا واحدًا وخمس إناث، وهم: سعيد، سعاد، سامية، المرحومة هدى، ربيعة، ومها.

وبكلّ أسى توفّيت هدى في عمر الشباب عام ١٩٩٤.

وكان شقيقي نشيطًا ووديعًا كريمًا، حكيمًا وشجاعًا صادقًا، شمّاسًا في الكنيسة، مؤمنًا وذا صوتٍ رخيم.

توفي في زحلة عام ١٩٩١، ودُفن في مدافن العائلة بزحلة.

رحمه الله، وأسكنه في جواره.

٦. المرحوم يعقوب سعيد نجار

وُلد شقيقي المرحوم يعقوب في ديار بكر عام ١٩١٣، ودرس في المدارس التركية. وفي عام ١٩٢٨، وهو في الخامسة عشرة من عمره، أرسلوه إلى بيروت لإكمال علومه. التحق أولاً بالمدرسة السريانيّة في الخندق الغميق لمدّة سنتين، ومن ثمّ التحق بالجامعة الوطنيّة بعاليه **بإدارة الكاتب والناقد الشهير الأستاذ مارون عبّود**، حيث أكمل علومه الثانويّة. ودخل الجامعة

الأميركيّة عام ١٩٣٣، ومارس الميكانيك في بعض الورشات في بيروت.

التحق بالمؤسّسة العائلية في القامشلي عام ١٩٣٤، وخاصّة عندما دخلت الآلة الميكانيكيّة في الزراعة، حيث عمل أولاً على الحصادة التي يجرّها الحصان، من ثمّ على الحصادة والرباطة التي تجرّها الحراثة، وكان أول سائق جرار زراعي في سورية، ثمّ الحصادة والدراسة. استعان كثيرًا بما تعلّمه من العلوم في عاليه والجامعة الأميركيّة في بيروت في تخطيط السواقي لزراعة الأرز.

أدخل روحًا ديناميكيّة في المؤسّسة، ونجح في إقناعي قطع إكمال علومي الجامعيّة والإلتحاق بالمؤسّسة **التي تحوّلت عام ١٩٤١ إلى شركة رسميّة باسم "شركة أصفر ونجار إخوان"**.

شارك معي في وضع نظام تطوير العلاقة مع العمّال وتأسيس الفرق التعاونيّة الزراعيّة وعرضها على مجلس إدارة الشركة والحصول على موافقتها الإجماعيّة وعمل على تنفيذها وإنجاحها. ونفّذ بالإشتراك مع المهندس برانكو (Branko) أكبر مشروع لضخّ المياه من ينابيع نهر الخابور، وكان مسؤولاً مباشرًا عن إدارة مساحة مليون دونم من الأراضي الزراعيّة البعليّة وحمايتها والمحافظة عليها من تعدّيات الجوار.

إشترك معي في تصميم القرية النموذجيّة "مبروكة"، وقام بتنفيذ المرحلة الأولى من المخطّط، **وكان يُدعى أسد الصحراء (البريّة)**.



المرحوم يعقوب سعيد نجار



تقليد السيّد يعقوب نجّار
وسام مار أفرام السرياني عام ١٩٩٥
من قداسة البطريرك مار زكا الأوّل عيواص

وبعد حلّ الشركة عام ١٩٧٠، أرسل عائلته إلى جونيه (لبنان)، وآثر البقاء في المنطقة (الجزيرة السوريّة) كأنّه مجبول بترابها.

ساهم معي بتنفيذ إقامة أكبر مشروع زراعيّ خاص في المملكة العربيّة السعوديّة من عام ١٩٨١ ولغاية ١٩٩٢، حيث عاد إلى سورية ليستلّم أرض الإحتفاظ المخصّص له وحفر فيها ثلاث آبار، ليحوّلها إلى مروية بواسطة أجهزة الري المحوريّة المطبّقة في السعودية، وأقام على هذه الأرض وعاش داخل كارافان وعلى مسافة ٤ كيلومترات من قرية مبروكة و/٣٠/ كيلومترًا من البيت الذي شيّده بماله وجهده في عين الزرقاء المعروف بـــ"القصر"، والذي تحوّل بعد الإستيلاء عليه إلى منتجع لإستراحة محافظ الحسكة.

في عام ١٩٩٨ اعتزل وعاد إلى جونيه - لبنان. **كان المرحوم يعقوب شجاعًا الى منتهى الحدود، وثوريًا مقدامًا حكيمًا، وكريمًا قويًّا.**

تزوّج عام ١٩٤٧ من مي إبنة المهندس الياس البويري في جونيه - لبنان، ورُزق منها أربعة ذكور وست إناث. وهم: عادل، رياض، سامر، إيلي، زينا، منى، ندى، المرحومة نايلة، لميا، ومايا. توفّيت المرحومة نايلة في عزّ شبابها مأسوفًا عليها.

في عام ١٩٩٥، منح الحبر الأعظم مار اغناطيوس زكا الأول عيواص بطريرك السريان الأرثوذكس الأنطاكي وسائر

المشرق شقيقي يعقوب، بإسم أصفر ونجار إخوان، وسام القدّيس مار أفرام.

توفي في جونيه عام ٢٠٠٥، ودُفن في مدافن العائلة بزحلة. رحمه الله، وأسكنه في رحاب جنانه.

٧. الياس سعيد نجار

وُلِدتُ في ديار بكر عام ١٩٢١، تربّيتُ بدلال زائد في عائلة يسودها الوئام والمحبّة والتضامن، وأنا الطفل الوحيد بين خمسة شبان وشابة، ودامت هذه الحالة لمدة تزيد عن عشر سنوات. وقضيت صفوف الحضانة في المدارس الرسميّة التركيّة.

نزحتُ إلى قامشلي مع والدي وشقيقتي سميرة عام ١٩٣٠، وأرسلوني إلى بيروت عام ١٩٣٢ للمدرسة السريانيّة في خندق الغميق، ثمّ إلى الجامعة الوطنيّة في عاليه (لبنان) بإدارة المفكّر الكبير المرحوم الأستاذ مارون عبود، وتخرّجت منها عام ١٩٤١ باختصاص المحاسبة والتجارة، ودامت هذه المعاملة المدلّلة من جميع إخواني طيلة حياتهم.

التحقتُ بالمؤسّسة العائليّة عندما تأسّست شركة أصفر ونجار إخوان، ومنحني أشقائي حصة كاملة، رغم التحاقي مؤخرًا، مع حقّ التوقيع عن الشركة التضامنيّة.

لا أريد أن أتكلم عن نشاطي ومسؤولياتي وإنجازاتي منذ التحاقي بالشركة عام ١٩٤١ لغاية حلّها عام ١٩٧٠. وعلى القارئ أن يستنتج ذلك من خلال هذا الكتاب.



الياس سعيد نجار (المؤلّف)

غادرتُ دمشق عام ١٩٧٠ إلى لبنان، ومنحني فخامة رئيس الجمهوريّة اللبنانيّة الأستاذ شارل حلو الجنسيّة اللبنانيّة ولعائلتي.

وفي سبيل تأمين معيشة عائلتي المؤلّفة من خمسة أشخاص، ذهبت إلى إسبانيا عام ١٩٧١ واستأجرتُ مزرعة مساحتها /٤٠٠/ هكتار لمدة خمس سنوات للزراعة البعليّة من القمح والشعير ودوّار الشمس. وكان يعاونني نجلي الثاني سمير أيام الفرص الأسبوعيّة والأعياد، حيث كان يتابع علومه الجامعيّة في إشبيليا.

بسبب قساوة الطبيعة وفقدان المواسم بعض السنين، قرّرتُ عدم تجديد الإيجار، والعودة إلى لبنان لأعمل في التجارة والوكالات مستندًا إلى الخبرة التي اكتسبتُها خلال إدارتي الفرع التجاريّ لمؤسّسة أصفر ونجار بدمشق.

وعندما أنهى نجلي الكبير سهيل علومه في الجامعة اليسوعيّة، التحق معي في العمل التجاري وذلك عام ١٩٧٥.

أما مشروع السعوديّة، تجدون عنه في حلقة خاصة في نهاية هذا الكتاب.

انتُخِبتُ نائباً عن القامشلي عن الكرسي المخصّص للطائفة السريانيّة الأرثوذكسيّة في ثلاث دورات، عام ١٩٤٧، ١٩٥٤، و١٩٦١.

وفي عام ٢٠٠١، اعتزلتُ العمل وأنا في الثمانين من العمر للإقامة في بيروت.

تزوّجتُ عام ١٩٤٨ من جميلة بنت محسن صوما، من وجهاء مدينة زغرتا في لبنان. أنجبت لي ثلاثة ذكور وهم: سهيل، سمير، وفائز.

٨. الشقيقة سميرة سعيد نجار

وُلدت سميرة عام ١٩٠٨ في ديار بكر، ونزحت مع والديها إلى قامشلي عام ١٩٣٠.

تزوّجت عام ١٩٣٢ من المرحوم جبرائيل عبد الأحد بلدو، من وجهاء الطائفة السريانيّة الكاثوليكيّة في بيروت (لبنان). وأنجبت ثلاثة ذكور وهم: المرحومان ريني وجان، والثالث بسيم. وبأسى شديد، توفي ريني عام ١٩٧٧، وجان ١٩٩٤.

بعد وفاة الوالدة مريم عام ١٩٣٨، رعت الشقيقة سميرة واعتنت بالوالد المرحوم سعيد لغاية وفاته عام ١٩٤٤والأشقاء غير المتزوّجين المرحوم لطفي وشكري ويعقوب والياس لغاية زواجي عام ١٩٤٨.

اعتبر الإخوة جميعًا شقيقتهم سميرة شريكًا في كلّ أملاكهم وحتّى الأراضي الزراعيّة.

استلم زوجها المرحوم جيرائيل بلدو أمانة صندوق فرع قامشلي، لغاية حلّ الشركة عام ١٩٧٠.

توفيت في بيروت عام ٢٠٠٤، ودُفنت في مدافن العائلة في زحلة.

رحمها الله، وأسكنها جنانه.



المرحومة سميرة (شميرام) سعيد نجار

مقتطفات من سجل لزوار "مبروكة" Mabroukeh

نبرز أدناه بعض المقتطفات المأخوذة من السجل الذهبيّ الخاصّ بالمركز الزراعيّ "المبروكة" المسجّلة عن يد بعض رجال السياسة، والعلماء، وخبراء الزراعة العرب والأجانب الذين زاروا المركز الزراعيّ على فترات منفصلة:

"لا يمكنني أن أعبّر، من خلال هذه السطور القليلة، عن النهضة الزراعيّة الحديثة التي وجدتها، والناجمة عن تحقيق هذا المشروع الكبير الذي سيكون له أفضل الآثار على النهضة الزراعيّة الخاصّة بالبلد، والذي سيتيح لنا قريبًا من رؤية، في قلب الجزيرة التي كانت منذ فترة من الوقت ليست بالطويلة، أرضًا غير مزروعة وغير مأهولة، بلدة زراعيّة صغيرة نموذجيّة مماثلة لتلك التي نراها في البلدان الغربيّة.

كما أنّ هذه النهضة، التي كانت حلمًا لكلّ شخص شامل يرغب في الخير، والتقدّم، وإستعادة بلاده، أصبحت واقعًا حيًّا وملموسًا من خلال جهود "أصفر ونجار إخوان.

ف.ك بتاريخ ١٨/٣/١٩٥٤

لقد سنحت لي الفرصة لزيارة "مبروكة" اليوم، وكنت مندهشًا للغاية من ملاحظة الدرجة العالية من التنظيم والعمل الجادّ

والمنتج. كما قد علمت في الوقت نفسه، عن تخطيطات تركيبات البناء التي يمكن إعتبارها فريدة من نوعها في سوريا، والتي تعكس تجربة رائعة وروحًا من المبادرة لا مثيل لها".

ف.ك. بتاريخ ١٨/٣/١٩٥٤.

"وأغتنم هذه الفرصة لأعرب لـــ **"أصفر ونجار إخوان"** عن ذهولي الكامل بالمشاريع والأعمال التي قاموا بها، والتي تساهم، وإلى حد كبير، في الإصلاح الجذري للزراعة. بالإضافة إلى ذلك، يمكن لـــ "أصفر ونجار إخوان" أن يفخروا بعملهم، وبمشاركتهم الفعّالة في زيادة الدخل القوميّ، وإعطاء خير مثال للمواطنين السوريّين."

أ.ن. بتاريخ ١٧/٥/١٩٥٤

تعتبر "الجزيرة" العجيبة السوريّة في القرن العشرين. فقد عادت إلى حياتها وإلى عزّها بعد نوم عميق دام قرونًا عدّة، بفضل جهود الرجال الجريئين الذين فضّلوا حياة النضال والبناء السلميّ على سهولة وبحبوبة الحياة. قد قاموا بالتالي بإتمام المهمّة الإقتصاديّة الوطنيّة التي تشرّف الشرق برمّته، والتي ستكون بمثابة نقطة انطلاق للنهضة الزراعيّة التي ستشمل سوريا كاملة.

ن.ه. بتاريخ ١٧/٥/١٩٥٤

"لقد قمت بزيارة "مبروكة"، وتمكّنت من ملاحظة كيفيّة تقدّم الحضارة، وتمتد إلى قلب الصحراء.

هذه القرية التي توفّر حياة مثمرة بفضل عناء العمل القائم يجب أن تشكّل نموذجًا لغيرها من القرى التي سيتمّ بناؤها في كلّ الوطن، وحيث سيجد العامل السعادة، والمزارع رغبته وراحته. وهو جهد يستحقّ أن يُقدّر..."

أ.م. بتاريخ ١٩٥٤/٩/٠٢

"لقد قمنا بزيارة "مبروكة"، وقد رأينا الوطنيّة، والتفاني والجهد المثمر الذي يجسّدها. هذا الجهد الكبير والضخم الذي يمكن أن نفخر به، لأنّه تمّ تنفيذه وتصميمه من قبل الأشخاص الذين يرغبون في رفع اسم وطنهم.

هذا المركز مُعدّ كعزّة للتقدّم الزراعيّ السوريّ، ويشكّل المبدأ من العظمة والكرامة السوريّة. لا يسعني إلاّ أن أحني رأسي إجلالاً وإعجابًا للإنجازات المقامة في هذا المشروع الكبير".

ز.س. بتاريخ ١٩٥٤/٩/٠٧

"إنّها مناسبة نادرة والتي هي معرفة الرجال الأقوياء الذين يعرفون ما يريدون، والذين يمضون قدمًا بشجاعة وثبات، وعلى الرغم من كلّ الصعوبات، وذلك في محاولة لبناء مؤسّسات الدولة

بأيديهم ومن عرق جبينهم. ما شاهدته في شركة ANB في مزرعتهم في رأس العين ترك أفضل الذكريات في أذهاننا".

ب.ب. بتاريخ ١٩٥٨/٤/١١

"لقد قمنا بزيارة هذه المزرعة، واطلعنا على جميع الترتيبات والتجهيزات الزراعيّة. وقد لمسنا الجهود الكبيرة التي بذلك في تأسيس المدارس والمستشفيّات المتاحة لمزارعيّ المنطقة. وبالإضافة إلى كلّ ذلك، إدارة للأعمال مبنيّة على أسس المفاهيم التعاونيّة والإجتماعيّة والتي تهدف إلى رفع مستوى المعيشة لدى السكان. يا له من عمل جميل ومحترم، لم يكن له نظير في أي بلد آخر".

ف.ن. مدير بتلك الإنشاءات لإعمار الروي بتاريخ ١٩٥٥/١٠/٣٠

"لقد سمعت عن هذا المشروع الكبير، و لم أصدّق ذلك إلاّ عندما رأيت بأمّ عيني **"مبروكة"** مثل واحة في عمق الصحراء. وقد لاحظت التقدّم المحرز في وسط الصحراء الكبرى لضمان الرفاهية والراحة. ولقد إستنتجت في الوقت نفسه الأعمال القاسية والمشاريع الكبرى. ولو كان لسوريا عدّة رجال من طينة **"أصفر ونجار إخوان"** لكانت عرفت نهضة زراعيّة عظيمة، وكانت الرائدة في بلدان هذا العالم.

أ.ر. بتاريخ ١٩٥٦/٨/١٣

"لقد قمت بزيارة "مبروكة" ولقد كنت في غاية الدهشة من تنظيم الأعمال، والكفاءة في إدارة الأعمال والترحيب الجيد. وأكثر ما لفت انتباهي هو مشروع العشر سنوات المطبق بدءاً من هذا العام، وستكون له آثار في بناء مدينة حديثة في نصف هذا السهل الشاسع القاحل.

تمثل مؤسّسات "أصفر ونجار إخوان" الآن أهمّ دعامة للإقتصاد في البلد. لا أحد يستطيع تكوين فكرة عن أعمالهم إذا لم يرَ عن قرب جهودهم المبذولة".

ف.ج. بتاريخ ١٩٥٧/٨/١٥

من الممكن اعتبار "مبروكة" - المزدهرة - وعن حقّ، كإسم وصفيّ. فهي ليست واحة في قلب الصحراء فحسب بل هي الجنة المليئة بالزهور، وذلك بفضل الجهود وقدرة الإحتمال المبذولة من السادة "أصفر ونجار إخوان".

أ.ب. بتاريخ ١٩٥٨/٨/١٥

مشروع المملكة العربية السعودية

في مطلع عام ١٩٨١، تعرّفت، خلال زيارتي إلى مدينة جدّة، بالأمير زيد بن المرحوم محمد أحمد السديري، بواسطة الأمير تركي بن خالد السديري وصديقي الشيخ خليل دهام الهادي.

وكانت المملكة قد أصدرت قرارات لتشجيع الزراعة، عن طريق ضمان شراء الحبوب معانة جدًّا.

فتمّ الاتفاق مع الأمير زيد، على إقامة مشروعٍ زراعيٍ مشتركٍ على مساحة /٥٠،٠٠٠/ دونمًا من أراضي أملاكهم في القصيم، التي تجاوز /٥٠٠،٠٠٠/ دونمًا.

فقد قضى الاتفاق أن يقدّم الأمير زيد وإخوانه الأرض المناسبة والتمويل الذي يحتاجه المشروع. أمّا نحن، شقيقي يعقوب وأنا، ندير المشروع فنيًّا وزراعيًّا وإداريًّا مع تقديم العمالة اللازمة.

بلغت كلفة المشروع /١٠٠/ مئة مليون ريال (أي حوالي /٢٧/ مليون/ دولار أميركي). وكأنّ التاريخ يعيد نفسه.

فقد تمّ تخطيط المركز على غرار نواة المدينة النموذجيّة "مبروكة" مع كامل منشآت الإدارة وورش العمل ومساكن الإدارة والعمّال. خزّان للماء وشبكة التوزيع، ومحطّة توليد كهرباء،

وشبكة التوزيع. بالإضافة إلى إهراءات تخزين الحبوب بسعة /٢٠/ عشرين ألف طن من الحبوب. أمّا الأراضي المخصّصة للاستثمار، فقد تمّ استصلاحها، وقسّمت إلى دوائر قطرها /١٠٠٠/ متر وتركيب أجهزة ريّ محوريّة عليها وعددها /٦٠/ جهازًا، وحفر /٤٠/ بئرًا بعمق /١٢٠٠/ مترًا لكلّ بئر، وتركيب مجموعات ضخ عامودي بقوة /٨٠٠/ حصانًا لكلّ محطة. ومولدات الكهرباء لتشغيل أجهزة الريّ، ومد شبكة أنابيب تحت الأرض بقطر ١٠ و١٢ بوصة، وبطول إجمالي /٣٠/ ثلاثون كيلومترًا.

وأصبح المشروع من أنظم وأنجح وأكبر مساحةً، بين المشاريع المماثلة الخاصة، في المملكة العربيّة السعوديّة.

فقد شرفنا بزيارته، وزير الداخليّة، الأمير نايف بن عبد العزيز، مهنئًا، ووزير الزراعة، السيّد عبد الرحمن آل الشيخ مشجعًا.

قد زارنا أيضًا عدة مرّات، شقيقي عبد المجيد، وشكري نجار ومكثا عندنا مدة طويلة، وشعرا بالراحة والاطمئنان ولاقيا ترحيبًا حارًّا وتقديرًا خاصًّا من قبل أصحاب المشروع من ورثة المرحوم الأمير محمد أحمد السديري.

فقد استقدمنا في السنة الأولى بعضًا من جماعتنا في القامشلي، أخص بالذكر: المهندس الزراعي يعقوب حنا ملكي (أبو جورج)

وحبيب صاروخان (أبو منصور) وكبرو واسحق، وأبو كابي ويعقوب، وفهمي عبد المسيح من الحسكة.

عندما قرّر شقيقي المرحوم يعقوب نجار، الانفصال عن إدارة المشروع، عام ١٩٩٢، التحق نجلي الصغير فائز، بمساعدتي خلال السنين الأخيرة، وذلك مباشرة بعد تخرجه من جامعة Cornell في ولاية نيويورك، ونيله شهادة PhD في المعلوماتيّة.

فقد أدخل، نجلي فائز، تحسينات تقنيّة عدة في تشغيل الأجهزة والمحرّكات ومضخاتها، ونظام عملها، ليل نهار، دوران الساعة، بالإضافة إلى مواعيد السقاية والتسميد ورش المبيدات. ودرّب المهندس يعقوب حنا ملكي (أبو جورج) في استعمال الكومبيوتر لهذه الغاية.

وفي ربيع من عام ٢٠٠١، قرّرت التقاعد عن العمل، بسبب بلوغي الثمانين، وبعد أن بلغ إدارتي للمشروع عشرون عامًا، من عام ١٩٨١ لغاية ٢٠٠١.

لم يشأ نجلي فائز الاستمرار بمفرده وقرّر الالتحاق بنجلي الثاني سمير في مدريد (إسبانيا) لتأسيس شركة في الاتصالات.

قبل انفصالي عام ٢٠٠١، أمّنت استمرار المشروع بالإدارة الفنيّة من قبل مساعدي الفني المهندس يعقوب حنا ملكي.

وبهذه المناسبة، لا بُدّ من التأكيد أنا وأشقائي جميعًا ما لاقيناه من أصدق التكريم والاحترام، وأوسع التقدير من جميع آل السديري الكرام، خلال فترة عشرين عامًا التي قضيناها معًا، بالإضافة إلى الثقة المطلقة والمتبادلة، واحترام الحقوق والواجبات، والمعاملة الممتازة، وأخصّ بالذكر **الأمير زيد: عميد ورثة المرحوم الأمير محمد أحمد السديري، ومن الأميرين: سلطان ومشعل، أولاد المرحوم الأمير محمد أحمد السديري الكرام.**

وبهذه المناسبة، لا بدّ لي من الشكر والتقدير لجميع الإخوان من الشعب السعوديّ العربيّ الكريم، الذي تعاملنا معهم طيلة عشرون عامًا، بكلّ صدق وأمانة واحترام.

إنني إذ اعتزّ بصداقتهم جميعًا، أرجو أن تدوم هذه الصداقة مدى الحياة، معنا ومع أولادنا، وأعتبر بأنها قد بلسمت، ولو جزئيًّا، الجراح التي أصابت بكرامة أفراد مؤسّسة أصفر ونجار إخوان، من أبناء وطننا الغالي والعزيز: سوريا.

الفهرس

أنجزت مطبعة روحانا الشمالي طبع كتاب "عائلة أصفر ونجار"
بتاريخ ٢٠١٠/٦/٣٠
درعون – حريصا – لبنان

من مطالعة هذا الكتاب والوقوف على المذكّرات التي دوّنها صغير إخوته الياس بك نجار الذي لم يزل حيًّا، أطال الله عمره وبقاءه لسنين طويلة، بعد غياب إخوته وشقيقته، وانضمامهم إلى آبائهم وأجدادهم في السماء، يلاحظ القارئ الجهود التي بذلوها والأفكار التي جسّدوها والمشاريع التي قدّموها والأتعاب الجمّة التي تحمّلوها والمشقّات التي واجهوها، والسعادة التي ملأت قلوبهم ودغدغت عواطفهم في النجاحات التي حقّقوها، والظروف التي تقلّبت بهم وصبروا عليها بإيمان صادق ورجاء وطيد ومحبّة للرسالة التي حملوها، وما آلت إليه أمبراطوريّتهم العظيمة، يفكّر، ترى هل بإمكان عائلة أن تفعل كلّ هذه الأمور وتتحمّل كلّ هذه المشقّات وتصبر. أجل إنّ لله حكمة في توفيق هذه العائلة.

وإذا وصل القارئ إلى السطور الأخيرة من هذه المذكّرات يرى إنّ الحسّاد لم يهنأ لهم بال حتّى يوقعوا بهذه العائلة، لتفقد كثيرًا من ممتلكاتها وأموالها، لكنّهم لم يفقدوا كرامتهم.

المطران جورج صليبا